جامعة محمد خيضر بسكرة
الآداب و اللغات الاجنبية
أدب عربي

مذكرة ماستر

لغة و أدب عربي
دراسات نقدية
نقد حديث و معاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
سكراف سهيلة
يحي كاهنة

يوم: 02/06/2025

البينيات و بنية الخطاب الهجين في النقد المعاصر

لجنة المناقشة:

فاطمة الزهراء بايزيد	الرتبة	جامعة بسكرة	رئيس اللجنة
أحمد مداس	الرتبة	جامعة بسكرة	المشرف
غنية بوضياف	الرتبة	جامعة بسكرة	المناقش

السنة الجامعية : 2024-2025

مقدمـــ

مقدمة:

شهدت الدراسات الأدبية والنقدية تحولات جذرية بوتيرة متسارعة متداخلة المكونات والرؤى، مست بنياته وافتراضاته النظرية على مدار العقود الأخيرة، انعكست بدورها على طرائق تناولنا للتحليل وللمقارنة للنصوص وفهمنا لآليات اشتغالها، وموقعه من النسق الثقافي العام، فبعد حقبة الحداثة وما اتسمت به من بحث عن الأصالة والتجريب ضمن حدود واضحة للتخصصات المعرفية؛ برزت رؤى جديدة مع مطلع ما بعد الحداثة، أعادت النظر في الثوابت وفتح آفاق لفهم الظاهرة الأدبية.

لقد مثَل الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة تحولاً نوعياً على مستويات عدَة. مما لا شك فيه البتَة أن المناهج النقدية ماهي إلا ثمرة تفاعل ثقافي ونقدي، فرغم اختلافها الظاهري، إلا أن أهدافها تتكامل وتسعى في جوهرها إلى فهم النصوص الأدبية وكشف خباياه وأماكن الظلام .وتتميز هذه المناهج بتنوعها الكبير، حيث يتبنى كل منها زاوية نظر مختلفة ومنهجية خاصة به، مما يمنحه هوية واستقلالية فريدة.

تتفاوت المناهج النقدية في نظرتها إلى سلطة النص والمبدع؛ فمنها ما يمنح المبدع سلطة مطلقة ويحيط بكل جوانب حياته، ومنها ما ينتزع هذه السلطة ويعيدها إلى النص ذاته بوصفه قوة مؤثرة في القارئ وذاكرته فينظر كل منهج إلى النص من زاوية محددة قد لا تستطيع بمفردها استيعاب جميع جوانبه بشكل كامل يضاف إلى ذلك الخلفيات الفلسفية والمعرفية المعقدَة التي تحملها هذه المناهج، والتي يصعب على العديد من النقاد العرب استيعابها بشكل كامل .من هذا المنطلق بدأت إشكالية المنهج تتبلور في الأفق، وأجريت حولها دراسات عديدة سعيًا نحو تحقيق الشمولية والكمال في التحليل النقدي. فبدلاً من الإيمان بالمقاربة النقدية المنفردة القائمة على أطر نظرية أحادية، اتجه البحث نحو تبني مقاربات مركبة للاستفادة من مختلف المناهج والأدوات التحليلية .ويقَر هذا التحليل والمقارنة بمكانة مرتاض في المشهد الثقافي العام .ويُثني على دوره الرائد في تجاوز المقاربات النقدية التقليدية السطحية والغوص في أعماق النصوص، وذلك من خلال طرح أسئلة وفرضيات تتجاوز الأحكام المسبقة و الاعتباطية .ويظل مرتاض رائداً في قراءة النصوص الإبداعية العربية، سواء كانت تراثية أم حديثة، مستفيدًا من مختلف المناهج الغربية وآلياتها وأدواتها ومقترحاتها العملية في تحليل النصوص على اختلاف أنواعها .وقد تمكن من استيعاب هذه المناهج بعمق دون الانجرار وراء أسسها الفلسفية وخلفياتها الفكرية، مع الحفاظ في الوقت نفسه على أصالة النصوص العربية التراثية.

أسس مرتاض مشروعه النقدي على ثلاثة محاور أساسية هي ':المنهج، والمصطلح، واللغة'، وذلك في إطار ثنائية الحداثة والتراث . فالتعامل مع أي من هذه المحاور يتطلب جهداً كبيرًا ومعرفة واسعة، وهو ما امتلكه مرتاض بفضل قدرته الفائقة على تفعيل النصوص، وخاصة النص التراثي، وتوجيه هذه المفاهيم بالدراسة المتعمقّة والتمحيص الدقيق . وقد أخضعها لتكون جزءًا من هذا التراث الأدبي الخالد في تناول شمولي دون الإهمال أي منها أو تغليب بعضها البعض من خلال كتاباته .

من هنا شكّل المنهج الشغل الشاغل بالنسبة للنقاد منهم مرتاض الذي أرقته هذه الإشكالية، فهو من النقاد العرب الأوائل الذين استشعروا أهميته فاستقى من مناهل متداخلة من الرؤى والعلوم المعرفية، واستخدم كمًا هائلًا من المصطلحات والمفاهيم النقدية، مما أدى إلى تطور أدواته الإجرائية . وقد تمكن النقد الجزائري بفضله من البروز واحتلال مكانة في المشهد النقدي العربي . واستطاع بكفاءة عالية أن يستمر ويتعامل مع مجالات السيمائية و البنيوية والأسلوبية والتفكيك في تقديم قراءة جديدة للنصوص الإبداعية . وقد نتج عن ذلك دراسات مستقلّة ذات نتائج مختلفة عن الدراسات العربية القديمة والحديثة، مما ساهم في تحديث الخطاب النقدي وتجديد مساراته وإثراء أدواته ومصطلحاته . فدمج بين المناهج النقدية تارة والتحرر منها تارة أخرى، بهدف تأسيس منهج نقدي قادر على فتح النص الذي وصفه مرتاض بأنه مغلق وأن مفتاحه يكمن في داخله . وربما كان التنقل بين المناهج النقدية لدى مرتاض هو الدافع الأساسي لفكرته . ليتراجع مبدأ نقاء التخصص ليحل محلّه تصور جديد يؤكّد على تكامل المعارف وتداخلاتها معتبرًا أن فهم النص الأدبي يستلزم استحضار رؤى من حقول معرفية متنوعة .

لعل هذا التنقل الملحوظ بين المناهج النقدية لدى مرتاض هو الدافع الأساسي لتبنين فكرة هذه الدراسة لتغيّر هذا السياق برز مفهوم النص **الهجين** كأحد أبرز تجليات هذه التحولات كظاهرة متجذرة في طبيعة الإبداع البشري المعاصر وقدرته على تجاوز الحدود ودمج العناصر المختلفة كخلق شيء جديد في فهم هذه العملية يساعدنا على تقدير التنوع والثراء واللذة في النصوص الأدبية المعاصرة لفهم السياقات التي نشأت فيها . فالنصوص الأدبية المعاصرة غالبًا ما تتسّم بتجاوز الحدود النوعية التقليدية، وتمزج بين عناصر سردية وشعرية ودرامية، وتستلهم أساليب من فنون أخرى، بل و تتفاعل مع وسائط رقمية وسمعية وبصرية . هذا التداخل والتركيب يخلق نصوصًا تتسّم بالثراء والتعقيد، وتستعدي أدوات تحليلية جديدة بطبيعة تفكيكية قادرة على استيعاب طبيعتها المركبّة المتغيّرة .

انطلاقًا من هذا التحول في المشهد النقدي والأدبي، نطرح إشكالية محورية تسعى إلى استجلاء مفهوم "**الهجنة** "في النصوص الأدبية المعاصرة.وتتحدد الإشكالية عندنا من خلال التساؤلات التالية :

ماهي **الهجنة** في السياق الأدبي؟.وماهي طبيعتها وخصائصها المميزة ؟.وماهي الأسباب الكامنة وراء ظهورها في هذا النوع من النصوص وتناميه في المشهد الأدبي الراهن ؟.

إن طبيعة هذه الدراسة جعلتنا ننوّع في آليات دراستنا بين ما هو وصفي أحيانًا إلى التحليلي أحيانًا أخرى.

جاء لبحث على إثر هذا ذلك مؤطر بخطة مضبوطة و مُمَنْهَجَة على النحو الآتي:

أولا :مفهوم البينية:

1- البينية

2- تداخل الإختصاصات

3- نقاء التخصص: الحداثة والتخصص

4- تكامل المعارف: مابعد الحداثة"البينية"

5- الموسوعية بمنظوريها

ثانيا : الهجنة :

1- بنية الخطاب الهجين

2- المقاربة المركبة

ثالثا: الإشتغال على المدونة:

1- رؤية إكتشافية للكتاب: التنوع وتداخل الإختصاصات

لا ننكر أن دراستنا سبقنا إليها محمد مكاكي في دراسته الموسومة ب :الدراسات البينية المفهوم والأصول المعرفية، ونور الدين الشابي، إدغار موران وأهمية الدراسات البينية ، وكريمة مبدوعة، ملامح الدراسات البينية عند علماء العرب ، ونجد قبلهما أيضًا همام محمد في كتابه تداخل المعارف ونهاية

التخصص في الفكر الإسلامي. إلا أن الجدّة تأتي من حيث سلطنا الضوء على **الهجنة** من خلال تمظهرات التفكيك التي تولّد لنا بروز **التهجين** في بنية الخطاب **المعاصر.**

ومن بين أسباب اختيارنا لهذا الموضوع تطلعنا إلى دراسة شيء جديد وحديث لكونه لم يتناول بشكل كاف في الدراسات السابقة، ولما له أهمية في مجال النقد الحديث والمعاصر .

وواجهتنا بعض الصعوبات في دراستنا هذه من أهمها أن الدراسات البينية مازالت لحد الآن لم توثّق رسميًا وهذا من خلال أن مثلا إختفاء بعض المراجع مرات كثيرة ولا يمكننا إعادة تحميلها مما يخلق لنا إشكال في تثبيت المعلومات مرات في مراجعها الأصلية مما يبطئ عملنا المتفانِي عدة مرات.

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها:

همام محمد في كتابه تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي، عائدة سعيد البصلة في دراستها المعنونة الدراسات البينية ودورها في تعزيز الهوية اللغوية والأدبية، أحمد مداس في كتابه معالم في مناهج تحليل الخطاب حيث وظف معلمًا خاصا حول البينية في العلوم المعرفية.

وفي الأخير ،نتمنى أن يكون عملنا هذا إضافة لعلّها تفيد الباحثين وتقرّب إليهم جهودهم أحد جهابذة النقد العربي . دون أن ننسى التوجه باسمنا معاني الشكر للأستاذ المشرف على جهوده وتوجيهاته وتصويباته ورحابة صدره دائما، فنسألوا له الله التوفيق.وإلى كل من كان طرف في مساعدتنا في إخراج هذا البحث.

الفصل الأول:

أولا: البينية

1. حد البينية
2. تداخل الاختصاصات
3. نقاء التخصص "الحداثة والتخصص"
4. تكامل المعارف" ما بعد الحداثة(البينية)"
5. الموسوعية بمنظوريها

ثانيا: الهجنة:

1. بنية الخطاب الهجين
2. المقاربة المركبة

أولا: البينية:

واقع النقد المعاصر الآن البينية؛ بسبب الإشكالات المعقدة التي تواجه المجتمع لم يعد بإمكان الباحث المتخصص أن يعالج الظواهر من منظور أحادي، بل تطلب الوضع اللجوء إلى نوع من التجسير بين الحقول المعرفية المختلفة، ولأن تكامل المعارف ابتغاء الوصول إلى حلول فعّالة وشاملة يتحقق بما يسمى بالدراسات البينية يقف بحثنا بداية على مفهومها ومجالات اشتغالها، فما البينية؟

حد البينية:

البينية في صورتها العامة موضوعات مشتركة بين عدة تخصصات، ومناهج مشتركة بين تخصصات عدة، وبهذا النهج تبتعد عن العزل المفرط للعلوم، ما يتيح آفاق فهم وإدراك أوسع، مما يتيح للمعرفة التشكل في طبقات متداخلة تبدأ من البنية الأساسية للنص، ثم تتجه نحو التخصص والتعمق في أدق التفاصيل لتعيين مدار الاشتراك، فهي تعتمد على الجمع بين الطبيعة النصية للمعرفة والمناهج المختلفة دون الإفراط في التخصص، أو رسم حدود صارمة بينها[1]، مما يتيح فهما أعمق وأشمل.

يتم من خلال ما سبق ضبط حدود الاشتراك بين التخصصات وَفقا لطبيعة النص ومحتواه، بحيث لا يكون التخصص قيدا، بل إطارا يوجه الاستفادة من النصوص والخطابات المختلفة[2]، فتكون اللغة وسيلة والخطاب/النص وعاءً والمحتويات والمضامين موضوعاتٍ مختلفة ومتنوعة في تخصصات مختلفة تتحقق معها البينية بين هذه العناصر: لغة النص ومضمونه، والموضوعات المناقشة والتخصص الوارد فيه[3].

في العلوم الشرعية مثلا كما في علوم اللغة؛[4] تلتقي اللغة والعلوم الإسلامية كما تلتقي بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا القانونية والطبيعية[5]، وفي الميدان الأدبي نجد تقاطعات بين علوم اللغة والدراسات النقدية وغيرهما، وهذا ما يجعل المجال الواحد منها يصعب عزله عن غيره من المجالات.

---

[1]- ينظر أحمد مداس : معالم في مناهج تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط 1، 2019، ص 50.

[2] - ينظر المرجع نفسه : ص (51.50).

[3]- المرجع نفسه: ص 51.

[4]-على سبيل المثال لا الحصر؛تشكل اللغة عاملا مشتركا تقوم عليه جميع العلوم إذ تكون نقطة الالتقاء والاشتراك.

[5]-ينظر أحمد مداس: معالم في مناهج تحليل الخطاب : ص 51.

تتلاقى المعارف أيضا في علم الاجتماع والدين والإنسانيات واللسانيات بما يصنع تقاربا بين العلوم المعرفية والتخصصات البينية، فإذا أضيفت إلى ذلك الحوسبة صار بين الاستقلالية والتكامل المعرفين صلات انفصال بدلالة التخصص، وصلات اتصال بدلالة التداخل والتواشج والتكامل، إنه بحث فيما يشبه الموسوعية ولكن بتعمق وتدقيق[1].

جاء البينُ في كلام العرب على وجهين: يكون البين في الفُرقة، ويكون الوَصل؛ بان يَبين بينا وبينونة، وهو من الأضداد وشاهد البَيْنِ الوصل قول الشاعر:

لَقَدْ فَرَّقَ الْوَاشونَ بَيْنِي وَبَيْنَها فَقَرَتْ بِذَاكَ الْوَصْلِ عَيْنِي وَعَيْنُهَا[2]

وقال قيسُ بن ذريح:

لَعَمْرُكَ لَوْلَا الْبَيْنُ لَانْقَطَعَ الْهَوَى وَلَوْلَا الْهَوَى مَا حَقَّ لِلْبَيْنِ آلِفُ

فالبين هنا الوصل[3]

إن مصطلح البينية هو المقابل العربي للكلمة الإنجليزية (Interdisciplinary)، وهي كلمة مركبة من مقطعين:

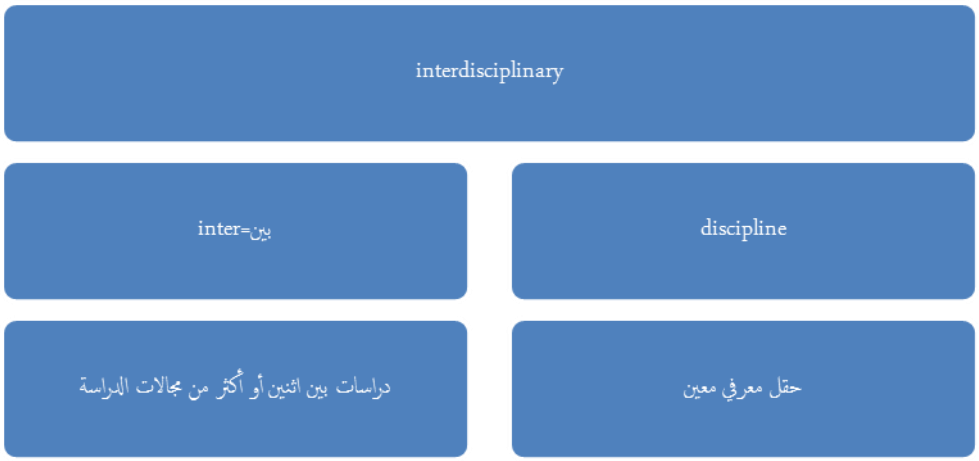

مخطط رقم 1: معنى الدراسات البينية.[1]

[1]- أحمد مداس: معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص (51-53).

[2]- ينظر ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، ص 403.

[3]- ينظر المرجع نفسه: ص 403.

فالسابقة (Inter) بين، والكلمة (disciplinary) التي تشير إلى التخصص أو المجال المعرفي، وعند القيام بتحليل المصطلح لغويا نجد أنه يدل على التفاعل بين مجالين معرفيين أو أكثر، ما يعكس مفهوم الجمع والتكامل بين التخصصات المختلفة.

تطور المعنى الاصطلاحي لهذا المفهوم ليستخدم في وصف الربط بين حقول المعرفة المتطورة والمختلفة، وهو ما يؤكده معجم كامبردج، حيث أشار إلى أن البينية تمثل التداخل بين مجالات متعددة من أجل الإجابة عن تساؤلات بحثية تتطلب رؤى متنوعة للوصول إلى رؤية شاملة[2].

أما في اللغة الفرنسية، فلا يقتصر التعريف على كونه مجرد مصطلح معرفي، بل يتناول الفكرة من زاوية أكثر شمولا، حيث يشير إلى التفاعل بين مجموعات من التخصصات أو العلوم، وهو ما يدعمه القاموس الفرنسي للموارد النصية والمعجمية الذي يعطي المصطلح بعدا أكثر ارتباطا بالممارسة البحثية والتطبيقية[3].

البينية كمصطلح شأنه شأن أي مصطلح آخر جديد تغيب عنه ملامح الدقة والثبات والتحديد، إذ يظهر ذلك في ذهاب (صالح بن رمضان) إلى توزيعه على ثلاث دلالات متقاربة يعتقد أنها تمخضت عن فكر التكامل المعرفي وهي:

تعدد المصطلح (pluridisciplinarité) : هو اشتراك أكثر من تخصص في معالجة الموضوع الواحد دون أن يكون الهدف من البحث إدماج المعارف؛ أي أن يتقاطع التخصص مع الآخر دون أن يتماهى فيه أو يفقد خصوصيته، وأن يحافظ على حدود استقلاليته كعلم قائم بذاته، كأن تقام ندوة حول الآثار المادية في إحدى المدن فيسهم عالم الحفريات بدراسة حول الأواني والنقوش وعالم الجيولوجيا ببحث حول الترسبات الحافظة لتلك الآثار، ويسهم عالم التاريخ في دراسة تاريخ مباني تلك المدينة[4].

عُرّفت الدراسات البينية من قبل كلاين ووليم (Klein x william) سنة 2001 "على أنّها دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، وأنها العملية التي تتمّ بموجبها الإجابة عن بعض

---

[1]- عمار بن عبد المنعم أمين: الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز بن سعود، جامعة الملك عبد العزيز بن سعود، الرياض، السعودية، د ت، ص 02.

[2]- ينظر محمد مكاكي: الدراسات البينية المفهوم والأصول المعرفية، مجلة جسور المعرفة، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، المجلد 7، العدد 5، 2021/12، ص 272 .

[3]- ينظر: المرجع نفسه : ص 273.

[4]- ينظر بثينة حفيظ بهلالي: دنيا علي دهينة، في تحليل الخطاب غير الأدبي من منظور العلوم المعرفية والتخصصات البينية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن ، ط1، 2021، ص (112-113).

الأسئلة أو حلّ بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جدا أو معقد يصعب التعامل معه بشكل كاف عن طريق نظام أو تخصص واحد"[1].

أما **محمد صالحين** فقد عرَّف التخصصات البينية بأنها: "بحوث علمية معمّقة لا يقتنع أصحابها بالاكتفاء بالتخصص الدقيق منفردا، بل يتوخون الكشف عن مناطق التخوم (التجاور، التلاقي، التقاطع، التشابك، التقارب) بين العلوم، هي أيضا دراسات تجمع بين النظرة التخصصية الدقيقة، والنظرة الموسوعية الشاملة، وتؤمن بالتكامل المعرفي بين كافة العلوم، وترى أن هذا التكامل بات ضرورة من ضروريات المنهج العلمي النافع في هذا العصر"[2].

عرفتها الجمعية الأمريكية للتعليم العالي بأنها «الدراسات المعتمدة على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة للإجابة عن إشكالية معرفية يصعب حلّها من خلال تخصص واحد أو حقل معرفي واحد"[3].

وبالتالي؛ يمكن القول إن البينية مرحلة هامة من مراحل تطور العلم، تلت مرحلتي الموسوعية والتخصصية؛ فقد هيمنت الموسوعية في حضارات مختلفة لأزمنة طويلة، وخاصة في الحضارة العربية الإسلامية؛ أين برزت أسماء كثيرة بمختلف الحواضر، فقد جمعوا المعرفة بالفلسفة والمنطق، والعلوم اللغوية والأدبية، والدينية، والفلك، والرياضيات، والطب، وعلوم الطبيعة ... وغيرها[4].

2- تداخل الاختصاصات:

في ظلّ التطور السريع للعلم والتكنولوجيا، لا يختلف اثنان على أنّ العصر الذي نعيشه هو عصر الانفجار المعرفي والتداخل بين طبقات المعارف على اختلافها، فلم يشهد أي من العصور تراكما في المعرفة الإنسانية بهذا الكم والنوع، إذ بات من الصعوبة الفصل بين التخصصات والحقول؛ نظرا لتعسر وتعذر إمكانية دراسة موضوع ما في إطار تخصصي واحد فقط، بل أصبح التداخل بين مختلف المجالات

[1]- عمار بن عبد المنعم أمين: الدراسات البينية (Interdisciplinary studies) رؤية لتطوير التعليم الجامعي، ص 2

[2]- محمد صالحين: الدراسات البينية تفتح آفاق جديدة في البحث.https://islamonline.net.29363

[3]- عائدة سعيد البصلة :الدراسات البينية ودورها في تعزيز الهوية اللغوية والأدبية، جامعة ذمار،اليمن، المجلد6، العدد4، ديسمبر2024، ص132.

[4]- نور الدين بنخوذ: دليل الدراسات البينية في اللغة والأدب والإنسانيات، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد الإسلامية، الرياض، السعودية، 2016، ص 5.

ضرورة حتمية لتحقيق فهم أكثر شمولية، وابتكار حلول فعالة للمشكلات المعقدة من أجل إنتاج معرفة جديدة لا يمكن اكتسابها من خلال تخصص واحد فقط[1].

قامت المعرفة الإنسانية منذ القدم على ارتباط بعض العلوم ببعض، واعتماد بعضها على البعض الآخر وتأثرها فيما بينها، فالبحث المعرفي الجدي عبر التاريخ كان يتحرك ضمن إطار العلاقات البينية أو التداخلية بين العلوم أو المعارف، وكان ينطلق من أجزاء المعرفة التي لا طائل منها إلا إذا حكمتها العلاقات التبادلية أو علاقات الأخذ والعطاء، وفي ما يتشكل بينها من روابط.

شكلت المعارف على اختلافها عبر التاريخ نظاما كليا، فيه عناصر التمازج والتفاعل والدمج والاشتراك[2] أكثر من عناصر التباعد والتمايز، إلا أن نسق التفاعل لم يكن على وتيرة واحدة عبر العصور، ومن أبرز لحظات التطور المعرفي في التاريخ التي كان فيها التفاعل بين العلوم متأججا لحظة ما بعد العصر الحديث، لحظة تخطي مبدأ التخصص الأحادي لعدم نجاعته في حلّ الكثير من الإشكالات البحثية.

هناك حيث تحوّل الاتجاه إلى الاهتمام بالعلاقات البينية بين التخصصات عبر دمج المعرفة والتعاون بين مجالات متعددة لبحث موضوع معيّن من خلال زوايا متعددة لإيجاد حلول لمشاكل عجز عن حلّها التخصص الدقيق، والتوصل إلى نتائج مبتكرة تسمح بفهم أعمق وأشمل للظواهر المعرفية،[3] بمعنى أن يجري العمل على الموضوعات كما سيجري على التخصصات ومقاربتها، والعامل المشترك بينها جميعا هو البينية والاشتراك والتكامل[4].

عبّر طه عبد الرحمان بمصطلح 'التداخل' عن الفكر البيني بقوله: "اعلم أن أهم مظاهر الشمول التي تدرك بها الحقيقة التكاملية للتراث هي التداخل الذي حصل بين المعارف والعلوم"[5].

نشأت العلوم العربية في نسق متكامل تستفيد من بعضها البعض لخدمة النص القرآني، إذ يمكن عد المعرفة الإسلامية أنموذجا بارزا لتحقق تداخل المعارف؛ فهي معرفة انبثقت أول أمرها من نص مؤسس هو القرآن الكريم[6]. كما لام يكن البحث في التجربة للمعرفة الإسلامية مجديا إلا باستيعاب طرق

---

[1]- ينظر عمار بن عبد المنعم أمين : الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي، ص2.

[2]- ينظر أحمد مداس : معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص (49-50).

[3]- ينظر: وهيبة دالي، عبد الرحمان أكتوف: التداخل المصطلحي بين نهاية التخصص وتداخل المعارف، مجلة اللسانيات التطبيقية، مخبر اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغات، جامعة أبي القاسم سعد الله الجزائر 2، المجلد 8، العدد 2، 2024، ص 184.

[4]- ينظر أحمد مداس : معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص 49.

[5]- طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقديم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1993، ص 90.

[6]- طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقديم التراث، ص 90.

اشتغال المنظومة المعرفية الإسلامية وتداخليتها والإدراك العميق للأبعاد الكلية والنهائية لنظرية المعرفة الإسلامية[1].

في العلوم الشرعية كما في علوم اللغة تلتقي اللغة بالعلوم الإسلامية، كما تلتقي بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا القانونية والطبيعية[2]. أما عن التداخل فهو البحث في العلوم والأفكار حول الأدوات المستعمَلة وحدود الاستعمال وكشف مستوى التداخل في العلاقات الإبستومولوجية بين المعارف والعلوم، وبين القيم والأخلاق، والأنساق والمفاهيم والمناهج[3].

يعد مصطلح التداخل من أهم المصطلحات المعتمدة في هذا الحقل المعرفي؛ فقد اختار **همام محمد** هذا المصطلح واعتمده باعتباره:« آلية تحليلية أو تفسيرية لظواهر معرفية تتعلق بالعلاقات بين العلوم وتفاعلها لمعالجة إشكالية بحثية»[4].

إذا كانت الدراسات البينية تحقيق للتكامل والتداخل[5] بين المعارف؛ فمصطلحي التداخل والتكامل يقصد بهما "اندراج العلم الواحد تحت أكثر من علم، لكونه يستفيد منها جميعا، ما يجعله متفرعا من أكثر من علم"[6]؛ <u>التداخل</u> هو محو الحدود بين العلوم من خلال التركيب بين عدة تخصصات لتحقيق معرفة شمولية لا يمكن تحصيلها بعلم معرفي واحد، <u>والتكامل</u> هو احتياج علم معرفي إلى أن يتكامل مع علم معرفي آخر أو أكثر.

من الوهلة الأولى تتجلى بعض الضبابية في اعتماد همام محمد على المصطلحين رغم ترجيحه للتداخل، أما التكامل عنده فيحمل دلالة النفعية وهذا لارتباطه بحقل الاقتصاد، ولعلّ سبب اختياره مصطلح التداخل عائد إلى شمولية لفظة التداخل على التكامل واتساعه أكثر من التكامل"[7]؛ حيث إن مصطلح التداخل تفتح من خلاله فرص للتواصل ما بين العلوم من دون تكامل شامل بينها إن كان جزئيا أو كليا[8].

---

[1]- ينظر وهيبة دالي: عبد الرحمان أكتوف :لتداخل المصطلحي بين نهاية التخصص وتداخل المعارف، ص 184.

[2]- ينظر: أحمد مداس : معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص 51.

[3]- همام محمد : تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 108.

[4]- المرجع نفسه : ص 72 .

[5] ينظر: أحمد مداس : معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص 51.

[6] ناهد محمد بسيوني سالم : منطق تصنيف العلوم في نظُم التصنيف العربية الإسلامية، قراءة تحليلية مقارِبة بنظُم التصنيف العربية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، عُمان، ص .73.

[7] همام محمد : تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي، ص 76.

[8]- ينظر همام محمد: تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي، ص .76.

أما التداخل لا يلتبس معناه بالتكامل فقط؛ بل هناك مصطلحات كثيرة تشتبه في معانيها مع التداخل من وجوه كثيرة حيث توازيه مجموعة من المصطلحات الأخرى، معظمها مترجم عن مصطلحات أجنبية منها: "التشابك، والتبادل، والتعاون، وتعدد الاختصاص، والاندماج، والتفاعل، والتعالق، والتراكب، والانضمام، التناظم"[1].

إنّ الغاية من وقوف الباحث على هذه المصطلحات هو إبراز مدى قصورها في التعبير عن المعنى الدقيق للتداخل، وهذا باعتباره آلية تحليلية وتفسيرية لعلاقات التواصل والترابط بين مجالات عدة، وفي النهاية يبقى بنظر همام مصطلح التداخل الأكثر دلالة، والأكثر كثافة من الناحية المصطلحية للتعبير عن هذه التوجه العلمي الجديد، بل إن المصطلحات التي ذكرناها سالفا تعتبر رافدا غنيا لمصطلح التداخل وتجليا جزئيا من تجلياته، أما مصطلح التداخل فهو محور العملية ونواتها الصلبة"[2].

اعتبارا للتماهي الحاصل أو المتحقق في التداخل نجد أن المصطلحات الأخرى تلامس المفهوم المراد بشكل من الأشكال التي تفيد التكامل في إدراك المعرفة. ومن خلال ما سبق فإن مصطلح التداخل من أكثر المفاهيم دلالة وكثافة في التعبير عن التحولات المعرفية التي شهدتها العلوم الإنسانية في العقود الأخيرة، حيث لا تقتصر دلالته على تقاطع المعارف أو تقارب التخصصات، بل يشير إلى توجه علمي جديد يعيد صياغة الحدود بين الحقول المعرفية التقليدية، ويفتح المجال أمام قراءة الظواهر الإنسانية بمنهجية شمولية تتجاوز الانغلاق التخصصي.

إذا كانت المصطلحات الأخرى - كالتكامل، والتقاطع، والإنفتاح - تساهم في توصيف هذا التوجه، فإنها تظل تجليات فرعية تنبثق من المفهوم الأوسع والأعمق : التداخل الذي يمثل اليوم نواة العمل المعرفي ومحوره الصلب في مقاربة الإنسان والمجتمع والثقافة، وتلك غاية الدراسات البينية[3] في وقتنا هذا.

يمكن الحديث ضمن القالب البيني عن فهم الأنظمة الذهنية البشرية وطريقة اشتغالها في إطار إنتاج العديد من الخطابات لتشكّل «العلوم المعرفية كمجال تتداخل فيه العلوم والمعارف، وتهدف إلى فهم الأنظمة الذهنية البشرية التي هي الفكر والذكاء والوعي وطريقة اشتغال العقل البشري ضمن إنتاجه للخطابات»[4].

---

[1]- ينظر مصطفى عادل : دراسة تداخل المعارف ونهاية التخصص لمحمد همام: عرض وتحليل، ص 165.

[2]- همام محمد : تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي، ص80.

[3]- ينظر أحمد مداس : معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص 51.

[4]- أحمد مداس : مناهج في تحليل الخطاب، ص 15.

في مجال تحليل الخطاب مثلا لا يمكننا التعامل مع المعرفة بوصفها معزولة؛ فالخطاب نفسه نتاج تفاعل معارف متعددة (اللغة، والمجتمع، والفلسفة، والتاريخ، والنفس البشرية،...). وهذا التداخل يجعل تحليل الخطاب ميدانًا مركبًا يتطلب فهما متعدد الأبعاد والزوايا.

في الأخير يكون تداخل المعارف وتشابكها وتكاملها وجهين لعملة، فقد تشابكت المعارف وتداخلت حيث صار بعضها عَصَب بعضها الآخر، وتنوعت من حيث أنها تشابكت فبدت متعالقة متناهية كما بدت متباعدة مختلفة"[1] فعند القيام بتجزئة هذه المقولة نجد:

*تشابك المعارف وتداخلها: المعارف متصلة متداخلة بها روابط وتفاعلات لا يمكن تحديد حدود واضحة بينها.

*بعضها عصب بعضها البعض: كل معرفة تعتمد وتأخذ معارف أخرى (علم الخطاب يستند إلى "علم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس).

*التنوّع نتيجة التشابك: بروز طرق جديدة للفهم والإدراك وتوسع الأفق العلمي والمعرفي.

*المفارقة/التعالق والاختلاف: المعارف مرتبطة متجانسة[التأثير المتبادل]، [المعارف متميزة ومختلفة من حيث المواضيع والمناهج]، [ظهور الإنسجام والتمايز في الوقت نفسه.]

3- نقاء التخصص "الحداثة و التخصص" :

التخصص وهو المكافئ العربي للفظة الأجنبية (discipline)، ففي اللغة الفرنسية تحمل هذه الكلمة معاني متعددة؛ ففي المجال العلمي يرتبط مفهوم (discipline) ارتباطا وثيقا ب(disciplus) اللاتينية؛ والتي تعني التلميذ أو المتعلم وهذا الاشتقاق يدل بوضوح على فكرة تلقي واكتساب المعرفة عند العلم أو العالِم.[2]

[1]- المرجع نفسه، ص 23.

[2]- فيلسوف وعالم اجتماع الفرنسي المعاصر ولد في 8 جويلية1921 بباريس ، يعتبر من بين أهم المسهمين في مجال الكشف عن الدراسات البينية، تمكن خلال الستين سنة الأخيرة من بناء منظومة فكرية ثرية بوأته ليكون أحد أهم مفكري فرنسا وأوروبا خلال القرن العشرين من أهم كتبه :"تربية المستقبل2002-الفكر والمستقبل2004-النهج2009- هل نسير إلى الهاوية ."

أما في الشق الاصطلاحي فيمكننا تعريف التخصص بأنه "فرع من فروع العلم، له قضايا محددة ومنهجية خاصة به"؛[1] ما يعني أنّ كلّ تخصص تميزه عن غيره من التخصصات التي يعتمد عليها في البحث والتفسير للوصول إلى المعرفة، حيث يؤكد إدغار موران أنّه ليس تقسيما اعتباطيا للمعارف الإنسانية"إن التخصص مقولة تنميطية لصلب المعرفة العلمية، فهو يرمي بداخلها تقسيم العمل والاختصاص فيه، متجاوبًا مع تنوع المجالات التي تعطيها العلوم»[2].

يشير موران في بيان غاية التخصص إلى أنّه يسعى إلى تحقيق نوع من الاستقلالية لكلّ فرع من فروع المعرفة الإنسانية، وذلك بوضع حدود واضحة له وتطوير لغة ومصطلحات خاصة به، وهو حسبه مورد هام لتنظيم المجالات العلمية وتصنيفها حسب التخصصات الدقيقة التي ظهرت مع الوقت، خاصة أثناء القرن الميلادي التاسع عشر مع تأسيس الجامعات الحديثة، التي كان لها دور محوري في ظهور عديد التخصصات التي نعرفها اليوم في البحث العلمي[3].

نستنتج من هذا التعريف أن التخصص فرع معرفي منظم، له منهجيته الخاصة وقضاياه المحددة، ويعد ضروريا لتنظيم المعرفة وتعميقها وتطوير العلوم من خلال الاستقلالية والتحديد الذي يمنحه لكل مجال علمي.

من منظور محمد همام ليس التخصص شيئًا واحدًا، وربما ينبغي التمييز بين التخصص السلبي الذي يفقد السمة الإبداعية للعلوم، والتخصص المثمر الذي يكون مدخلا للتداخل المثمر وهو: الذي يبتدئ بأحكام تخصص معين، ثم الإبحار خارجه للإبداع فيه، خاصة أن الدراسات العلمية في مجال تاريخ العلوم وفلسفتها قد أثبتت أن الابتكارات العلمية الهامة حصيلة جهود باحثين وعلماء يعملون خارج تخصصهم.

وهذا التخصص المثمر حسبه هو الذي من شأنه أن يسهم في التداخل باعتباره آلية فاعلة في تعميق البحث التداخلي، ومجالا للتنسيق والتداخل وإغناء البحث وتحقيق الإبداع[4].

---

[1] ينظر نور الدين الشابي: إدغار موران وأهمية الدراسات البينية، مجلة العلوم وآفاق المعارف، كلية الحضارة والثقافة الإسلامية، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، المجلد 3، العدد 2، 2023، ص .194

[2]- المرجع نفسه : ص 194.

[3]- ينظر المرجع نفسه :ص 195.

[4]- محمد همام : تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، ص 99.

والواضح أن التخصص الدقيق قد بدأ مع الحداثة الغربية[1]؛ التي سعت إلى فصل المتصل؛ تحقيق فصل الدين عن الحياة، والأخلاق عن العلم، حيث خرجت العلوم والمعارف في عصرنا الحديث عن طريقها بعدما تشكلت قديما داخل إطار متداخل، كان هذا عنصرا مسهما في بناء نقد شامل للحداثة الغربية، خاصة بعد انغلاق الآفاق، ويسهم في إزالة الحدود التي اصطنعتها الإبستيمولوجيا (epistemology) الغربية السائدة بين مسالك المعرفة المختلفة[2]، كما أنّه سيكون وسيلة للخروج من ضيق أحادية العلم، وتحقيق إنسانيته؛ كي تعود العلاقة السليمة بين العلم والإنسان، بعد أن أصبح العلم هو موظف الإنسان.

ظهرت هذه النزعة في الحضارة الغربية، حين بدأت تظهر ملامح تحولات حضارية ومعرفية ، فبفعل ضغوط داخلية وخارجية أسفر التراكم المعرفي على ضرورة قيام العملاء بتقنين التخصصات العلمية وتأطيرها وفق نظريات ومناهج محددة أكثر دقة وتخصصا بمرور الوقت، ولا شك أنّ النزعة التخصصية التي ميزت العلوم ذات فوائد كبرى ونتائج مثمرة لا تكاد تحصى في اكتشاف ما لم يكتشف من الطبيعة والإنسان، وتطوير حياة البشر في مختلف المجالات[3].

طرح همام فكرة مفادها أن التخصص رغم أهميته يثير آراءَ مختلفة بين العلماء؛ فهو من جهة ضرورة حتمية لتنظيم المعرفة وتعميقها، ونتيجة منطقية للتطورات السريعة والدقيقة التي يشهدها العالم الحديث. ومن جهة أخرى يرى فريق آخر أن التخصص قد يؤدي إلى نتائج سلبية، منها أنّه قد يربط الباحث بنوع معين من التفكير حيث يصبح معه بروتوكولاً يسير عليه لاهثاً ويقسم الفكر الإنساني إلى علوم متخصّصة وأكاديمية.

يمكننا الإشارة إلى تحدي ضرورة التوازن بين ضرورة التخصص والحذر من سلبياته المحتملة، لتعزيز البحث العلمي واجتناب آثاره السلبية في مجالات الدراسة والفكر خصوصا الرؤية الشاملة والأبعاد الأخلاقية للمعرفة[4].

---

[1]- ينظر مصطفى العادل : دراسة تداخل المعارف ونهاية التخصص لمحمد همام: عرض وتحليل، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة، مصر، العدد 13، ربيع 2021، ص 167.

[2]- ينظر المرجع نفسه : ص 167.

[3]- ينظر: المرجع نفسه: ص 244.

[4]- ينظر مصطفى العادل : دراسة تداخل المعارف ونهاية التخصص لمحمد همام: عرض وتحليل، ص 168.

في الأخير يتعرض همام إلى الأسباب الهامة الواقفة وراء انتشار التخصص في المجالات العلمية والإدارية والمادية، ثم يقوم بنقدها، ليصل إلى تأكيد إمكانية تسبب التخصص أحيانا في نتائج سلبية تتمثل في عزل الباحثين في الإطار الضيق لتخصصاتهم، ويجعل العالِم منعزلًا داخل هذه النطاقات المحدودة.

4 تكامل المعارف "ما بعد الحداثة (البينية)" :

نتجت عن الانفصال المعرفي أو التخصصية مشاكل داخل الميادين وأسئلة عالقة، الأمر الذي دعا إلى إعادة النظر في الكثير من الأحكام التي كانت تعامل معاملة المسلمات، وبدت تلوح في أفق البحث العلمي دعوة إلى إستراتيجية خطاب جديد، مهدت له مجموعة معطيات أشار إليها الفيلسوف إدغار موران (Edgard Moran)؛ حين تحدث عن ظاهرة جديرة بالبحث في مسار العلم الحديث وهي: هجرة المفاهيم والمصطلحات والإشكاليات والمناهج من تخصصات ودوائرَ عليا إلى أخرى ما أسهم في إخصاب التخصصات المستقبِلة، أو بتشكل **تخصصات هجينة** لا تلبث أن تشكل نظامها الخاص على وجه بيني (Interdisciplinary) أو عبر ميداني[1].

5 – الموسوعية بمنظوريها :

الموسوعية مفهوم قديم، اشتق في العربية من الجذر (و، س، ع) الذي يدل على الكثرة والتنوع، والكاتب الموسوعي هو الذي يسع نتاجه معلومات في كل ميادين المعرفة، أما للمصطلح اليوناني (Enkykliospadia) فيعني الكتب اللازمة للتربية الصحيحة للأطفال؛ والتي تتضمن المعرفة البشرية والعلمية والفنية، وفي اللغة اللاتينية تغيرت دلالته؛ وأصبح يرمز للخلاصة الوافية ويقابله بالإنجليزية مصطلح (Encyclopidia) وبالفرنسية (Encyclopidie) حيث يعد الفرنسي أندريه بروتون (André Le breton) من أدباء القرن الثامن عشر ميلادي، رائدًا أول لجهد جماعي في تجميع وتصنيف وإنشاء موسوعات المعارف البشرية المتاحة، وكبير محرري الموسوعية الحديثة[2].

---

[1]- نادية خميس : الدراسات البينية نحو إستراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،المجلد14، العدد02، جامعة الحاج لخضر باتنة ص 244.

[2]- معنى الموسوعية : 2836 .http//ar.warbletcouncil.org/encyclopedie.

والموسوعة مرجع ضخم سهل التنقل بين التخصصات المختلفة، ويعرض فروع المعرفة البشرية، أو يتضمن ثقافات الأمم وحضاراتها، وقد بدأت الموسوعات مؤلفات مطبوعة، ثم تطورت مع ظهور الإنترنت لتصبح إلكترونية.

* <u>الموسوعية قديما:</u>

تعد كتابات العلماء المسلمين كتابات موسوعية لأن أصحابها خاضوا في فروع علمية ومعرفية مختلفة، فحققوا دون قصد منهم ظاهرة دمج المعارف والثقافات المتنوّعة، بجمعهم الفلسفة والأدب والمنطق والخطابة، كما ربطوا العلوم الطبيعية بالإنسانية، وهو ما انعكس في أعمال كثير من كبار المفكرين العرب أمثال: الجاحظ، والجرجاني، وابن سينا الذين بنوا أفكارهم على أسس معرفية متينة ومترابطة؛ وسنحاول في ما يأتي الإشارة إلى تجليات الفكر الموسوعي عند اللغويين العرب ومنهم: الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني.

لقد أسهم الجاحظ أيما إسهام في بناء نظام معرفي ثقافي موسوعي؛ فقد عرف عنه التنوع المعرفي ووساعة الاطلاع والخوض في مختلف القضايا على اختلاف ميادين انتماءها، ؛ فكتاب 'الحيوان' خير دليل، حيث وضع الجاحظ (ت 255 ه) أسس تكامل العلوم ومعارفها بالرجوع إلى الطبيعة والثقافة، ذلك أنّ النشاط الذهني البشري هو نشاط ذهني بيني؛ وحرِص على المعنى الذي هو خلاصة الأصوات الثقافية وعناصر الإنسانيات الموروثة في كتابة الموضوعات الأدبية[1].

مما يبرز موسوعية الجاحظ تنديده بضرورة جمع الكاتب لمعارف متنوعة يقول : "معلوم أن طول دراسة الكتب إنما هو تصفح عقول العالمين والعلم بأخلاق النبيين وذوي الحكمة من الماضين والباقين في جميع الأمم وكتب أهل الملل»[2]، ويبرز هذا النمط التفكيري في كتابه 'الحيوان' وخصوصا في أحد النقاد فيه: "هذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم، وتتساوى فيه العرب والعجم، لأنّه وإن كان عربيا أعرابيا وإسلاميا جماعيا فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة» [3].

[1]- كريمة مبدوعة : ملامح الدراسات البينية عند علماء العرب، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة خميس مليانة ، الجزائر، المجلد 7، العدد 2، 2024، ص 25.

[2]- الجاحظ : الرسائل، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 1991، ص 96.

[3]- الجاحظ: الحيوان، تح محمد باسا عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 2003، ص 11.

إن الدارس لمقدمة كتاب 'الحيوان' ليلتمس هذا الفكر الموسوعي عند الجاحظ، وهو تعدد ثقافي، وتكامل معرفي ومزج بين الفكر والأدب، وتفاعل الأشكال الأدبية مع كامل الأذواق وآفاق التلقي، وردود الأفعال في مدينة البصرة في القرن الثاني الهجري.

نستنج من هذا أنّ الكتابة عند الجاحظ فضاء معرفي شكله تلاقح وتراكم المعارف ووساعتها، وهي نظرة قديمة موازية في الظاهر للبينية حاليا إلا أن قديما كان إنغلاق المعارف من سمة القدماء ، وقد تجلت في مختلف كتاباته وأرائه في معالجته للقضايا الاجتماعية والعقائدية والأخلاقية وغيرها.

وقد امتازت الثقافة العربية الإسلامية بقدرتها ومرونتها في التعامل مع الثقافات الأخرى؛ فلم تقتصر على الأخذ والاستفادة فحسب، بل أسهمت أيضا في إثراء الفكر الإنساني وإعادة تشكيله.

لذا فإنّ مستقبل المعرفة الإنسانية يعتمد على مواصلة البحث، والانفتاح على التجارب المختلفة، وتبادل الأفكار ما يسهم في بناء ثقافة عالمية متكاملة، قادرة على مواجهة التحديات المستجدة، وتحقيق التقدم المستدام[1]، لذلك نجده يعبر عن المثاقفة الحاصلة بين الحضارة الإسلامية وسابقاتها في قوله: "وينبغي لمن بعدنا أن يكون سبيله كسبيل من كان قبلنا فينا على أنّا وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا، كما أنّ من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا»[2].

ويقصد الجاحظ بهذا القول أنّ على اللاحقين إكمال مسيرة سابقيهم في التعلم والاستفادة من التجارب، وذلك بتطويع الميزات الإضافية التي يمتلكونها من عبرة وتجربة، لأنّ المعرفة تتراكم وتزداد بمضي الزمن، وذلك أنّه يرى جيله قد أفاد من العبر أكثر من سابقيه، ولذلك فإنّ القادمين سيفوقون جيله في إيجاد العبر، وهذا لتراكم واستمرار المعرفة الإنسانية، واعتماد معرفة كل جيل على تركة سابقيه لرؤية أوسع وفهم أعمق.

وقد أثبت الجاحظ فعلا أنّه من كبار المفكرين القائلين بالفكر الموسوعي، وهو ما يدلّ عليه بوضوح مزج وتحاقل لمعارف الأمم عنده ؛ إضافة إلى الإنفتاح على الأفكار المتنوعة بين حقول المعرفة المختلفة. وإنما نزعم هذا الزعم على ما فهمناه من ما دوّنه.

وإذا كان التفاعل سمة النزعة الموسوعية بما نسبه إلى عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ه)، باعتباره إمام البلاغة، وصاحب النظرة الشمولية إلى الحدث البلاغي، حيث ذهب إلى أنّ المعنى أمر

[1]- كريمة مبدوعة : ملامح الدراسات البينية عند علماء العرب، ص 26.

[2]- الجاحظ : الحيوان، ص 11.

مشترك وبيني تتقاسمه الشعوب جميعها بالتفاعل بين الثقافات في مسألة المجاز، لأنّها تشترك في مسألة التطورات العالمية للأشياء، فإذا حلَّلتَ كلمة "أسد" فمعناها في جميع الثقافات رمز للشجاعة.[1]

يتجسد الفكر الموسوعي في مقدمة كتاب الجرجاني في التداخل بين اللغات، يقول: "رأيت أسدا تريد أن تصف رجلا بالشجاعة وتشبهه بالأسد على المبالغة أمر يستوي فيه العربي والأعجمي»[2]؛ ولذا يتجاوز الجرجاني في تصوّره للغة مجرد تبادل الألفاظ بين المتخاطبين، بل هي عملية خطابية تتجلى من خلال أنساقها المذهلة، فالكلام في جوهره عمل نفسي مرتبط بوعي المتكلم، لا مجرد أصوات لها دلالات ناشئة بذاتها، بل هو خطاب يتشكل داخل سياق معيّن، أين يتداخل فيه البعد الاجتماعي مع العوامل الثقافية والأفق العلمي، وبذلك يرى الجرجاني أن اللغة عنصر بيني تتفاعل فيها المعرفة والمجتمع والثقافة، والنفس البشرية، ما يجعلها أكثر من مجرد وسيلة اتصال بل نظاما ديناميكا يحمل تراكمات فكرية وثقافية متشابكة.

وعليه؛ فالممارسات التنافذية ضاربة الجذور في المعرفة الإنسانية منذ العصور القديمة، فقد تجلت هذه المفاهيم في المعرفة الإسلامية من خلال تفاعل الحضارة الإسلامية مع مجالات متعددة مثل المنطق والرياضيات، وأصول الفقه والنحو، وهذا ما اصطلح عليه بالموسوعية.

وقد أسهم علماء المسلمين القدامى في إثراء مختلف ميادين المعرفة إسهاما بالغا، بما ضمّنوه في مؤلفاتهم الموسوعية من أفكار عميقة ومعلومات دقيقة، نتيجة سعة اطلاعهم وعمق بحثهم عن حلول لمشاكل المجتمع وتجيب عن تساؤلاته، وقد أظهروا تميزا في التعامل مع الضغوط والإنشغال بالبحث والإستكشاف، رغم مشاقّ سفرهم وتنقلهم بين البلدان سعيًا خلف المعرفة.

وقد كان للقرآن الكريم أثر واضح في تشكيل رؤيتهم؛ حيث دفعهم إلى التأمل في خلق الكون والتفكير في أسرار الوجود، ما عزز لديهم الإيمان بأهميته كوسيلة للمضي قدما[3]؛ فاتسمت تآليف هؤلاء العلماء بالموسوعية التكاملية والشمولية، إذ كانت مناقشة الموضوع الواحد والفرع العلمي الخاص بشكل منفصل، إلى مناقشة موضوعات عدة متنوعة مختلفة منغلقة بنفسها، فيطّلع القارئ الواحد على

[1]- كريمة مبدوعة : ملامح الدراسات البينية عند علماء اللغة العرب، ص 26 .

[2]- المرجع نفسه : ص 26 .

[3]- ينطر: إسماعيل عريف : السمة الموسوعية التكاملية في مؤلفات علماء المسلمين مقدمة ابن خلدون أنموذجا، مجلة الباحث للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، المجلد 6، العدد 2، 2016، ص(2-3).

الشؤون السياسية والأحكام الدينية، والظواهر الاجتماعية والأحداث التاريخية، والقضايا الفلسفية وغير ذلك من المناحي الحياتية والعلمية الأخرى، ما يضفي عليها طابع الاحتواء لكافة صنوف العلم ومقاصده[1].

ومن أهم العلماء الذين تتجلى هذه السمة في مؤلفاتهم نذكر: ابن تيمية، والغزالي، وابن حزم، والشهرستاني، وابن خلدون الذي جعل مقدمته موسوعة علمية، تضم بين دفتيها صنوفا شتى من العلوم والمعارف المتعددّة المنفصلة عن بعضها البعض [2].

وقد ظهر جليا منذ القرن الرابع الهجري الذي يقابلنا من علمائه ابن قتيبة صاحب أول كتاب كبير يمكن وصفه بالموسوعية (عيون الأخبار)؛ الذي جمع فيه شتى المعارف، وجعله كتبا: كتاب الحوائج، وكتاب النساء، وغيرها ... كما وضع الفارابي موسوعة سماها (إحصاء العلوم)، وفي البصرة وضع إخوان الصفا (رسائل إخوان الصفا)، ومن أهم كتب القرن الرابع الهجري الموسوعية (مفاتيح العلوم) لأحمدَ بن أحمدَ الخوارزمي، صنَّف فيه المعارف الإسلامية كالنحو والشعر، والمعارفَ الأجنبيةَ الوافدة مثل الكيمياء، المنطق ...، و(الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني وغيرها[3]. ولذا فقد أبدع ابن خلدون في مقدمته فلم يكتف بلفتة عابرة على ضروب المعرفة، بل انخرط في أعماقها متشبعا من مختلف العلوم والفنون، مقدما للباحثين أعمالا مختلفة.

فابن خلدون لم يسر مسار المؤرخين فحسب، بل تجاوزهم إلى مسار العلماء الموسوعيين القدامى، الذين لا يرون التأليف حصرا، بل سعة وشمولا، فجاءت مقدمته سفرا جامعا بين دفتيه للتاريخ والجغرافيا وعلم الإجتماع والإقتصاد والفلسفة، وغيرها من المعارف التي تروي ظمأ العقول. فلم يكن التنوع والشمول غاية في ذاتهما، بل وسيلة لتقديم معرفة شمولية متكاملة، يستفيد منها المؤرخ في بحثه عن الماضي، والفيلسوف في تحليله للحاضر، وعالم الاجتماع في فهمه لتركيبة المجتمعات، والاقتصادي في تنقيبه عن قوانين الصرف. وهذا ما قدّم لنا ثقافة موسوعية جمعت سعة الاطلاع وعمق التخصص، فقد ترك لنا هؤلاء العلماء الموسوعيون إرثا علميا غنيا يجمع بدقة وإحكام موسوعية الطرح ودقة التخصص[4].

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه،ص 3.

[2]- ينظر المرجع نفسه: ص3.

[3]- حياة مستاري : الكتابة الموسوعية في العصر الملوكي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر، المجلد 23، العدد 01، 2024، ص 44.

[4]- ينظر نادية خميس : الدراسات البينية نحو إستراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانة، كلية الآداب والفنون، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر، المجلد 14، العدد 2، 2021، ص 243. المعرفة الموسوعية عند القدامى معرفة منفتحة متخصصة

نتج الفكر الموسوعي في حضارتنا الإسلامية عن فكرة مركزية الالتفاف على النص القرآني باعتباره كتابا مؤسسا للاشتغال المنفتح، ونمط للتفكير المركب، يدفع نحو البحث عن أسباب الظواهر والعلل، فتكونت كوكبة من العلوم وتكاملت لإضاءة النص، والاستضاءة به، فكان هذا الكتاب الكريم المسؤول الأول عن نشوء هذا الفكر الموسوعي، ومن خلفه العلماء الموسوعيين[1].

نحاول أن نورد في المخطط الموالي مسار مفهوم الموسوعية بمنظوريها:

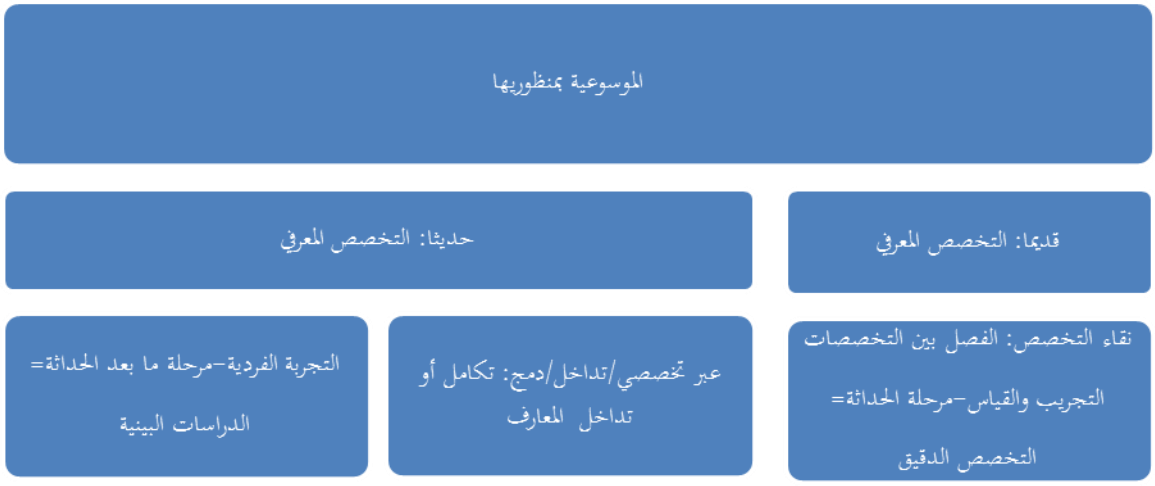

مخطط رقم 2: مسار الموسوعية بمنظوريها.

من خلال **الشكل2** ندرج المخطط التالي لتوضيح المسار المعرفي وتحولاته من التخصصية إلى البينية[2]:

مبوّبة حسب العلوم؛ وللباحث أن يتحدث في كلّ علم على حدة وبمعرفة مستقلة، وهو المختلف في موسوعية المحدثين فيما نعلم التي تقتضي الجمع بين المعارف في إدراك مضامينها الكلية والجزئية.

[1]- المرجع نفسه : ص243.

[2]- ينظر عائدة سعيد البصلة : الدراسات البينية ودورها في تعزيز الهوية اللغوية، الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، جامعة ذمار، اليمن، المجلد6، العدد 4، ديسمبر 2024، ص(139-141)، نحيط علما بأننا قمنا بتعديلات مساعدة وخدمة مسار موضوعنا؛ بداية حول عنوان المخطط من حركة العلوم والمعارف إلى مسار حركة العلوم والمعارف من التخصصية إلى البينية. أما التعديل الثاني كان لغاية إضافات شروح تفصيلية لمضمون المخطط الأصلي، وهذا ما يساعد موضوع بحثنا.

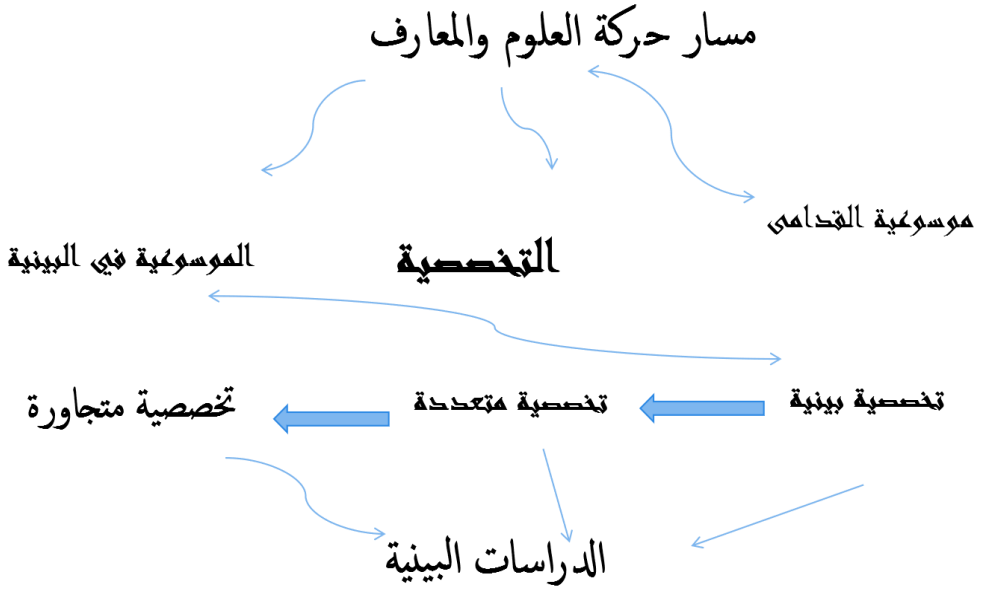

الشكل 03 المسار المعرفي من التخصصية إلى البينية.

مما تقدم تتعين الصيرورة المعرفية تراتبا على النحو الموالي: بدأت حركة العلوم[1] بمرحلة الموسوعية، حيث كانت المعرفة شاملة بالتنوع رغم أن الإنفصال كان سمة القدماء، مع تطور العلوم ظهر الاتجاه نحو التخصصية الدقيقة، بيد أن هذا التوجه نحو التخصص لم يبلغ الحاجة إلى التخصصات البينية التي تربط بين مجالات مختلفة، بالإضافة إلى ذلك يشير هذا المخطط إلى وجود تخصصية متجاوزة تمثل التطورات الجديدة والمبتكرة في هيكل المعرفة العلمية.

[1]- حاولنا من خلال المخطط أعلاه تمثيل التطور الديناميكي والمستمر للعلوم عبر الزمن؛ حيث انبثقت من حركة العلوم أربعة فروع رئيسية تمثل مراحل أو أنواع من التوجهات في العلوم:

① موسوعية: يشير هذا الفرع إلى مرحلة التي كانت فيها العلوم أكثر شمولية وتكاملا، حيث كان العلماء في هذه الفترة يمتلكون معرفة واسعة في مختلف الفروع العلمية والإنسانية، ولم يكن التخصص الدقيق هو السائد.

② *تخصصية: يمثل هذا الفرع الاتجاه نحو التخصص الدقيق في مجال علمي محدد،مع ازدياد حجم المعرفة وتعمقها، فكان التركيز على فروع معينة من العلوم للتمكن من إجراء بحوث متعمقة وتحقيق اكتشافات جديدة.

③ *بينية: التخصصات التي تنشأ عند تقاطع مجالين علميين أو أكثر،«انفتاح التخصص المعرفي على باقي التخصصات».

1-3:تخصصية بينية (interdisciplinarity / interdisciplinarité): التأكيد على أهمية التخصصات التي تجمع بين مجالات متعددة حتى داخل التوجه العام نحو التخصص .

2-3 تخصصية متعددة (polidisciplinary / plydisciplinarité): إشارة إلى وجود العديد من التخصصات التي تجمع بين مجالات متعددة حتى بداخل التوجه العام نحو التخصص.

3-3 تخصصية متجاوزة (trandisciplinarité / Trandisciplinary): يشير هذا الفرع إلى نوع من التخصص يتجاوز الحدود التقليدية للتخصصات القائمة،بظهور مجالات علمية جديدة تماما نتيجة لتطورات جذرية في المعرفة والتكنولوجيا، وقد يشير هذا إلى التخصص يجمع بين عناصر من عدة تخصصات بطريقة مبتكرة تتجاوز مجرد كونها بينية.

من خلال المخطط قمنا بتوضيح كيف أن العلوم ليست ثابتة؛ بل هي في حركة مستمرة، وأنّ التخصص فيها يتطور ويتنوع ليشمل التخصصات الدقيقة، والتخصصات التي تربط بين المجالات، وحتى التخصصات التي تتجاوز التصنيفات التقليدية، وإن كان الاتجاه نحو التخصص الدقيق هو السمة الغالبة على البحث التفكيري والعلمي لغاية منتصف القرن العشرين(20)، فإنّ آليات العولمة وتفجر المعرفة، حيث فرضت هذه التطورات على العالم المعاصر توجهات وأفكار جديدة تؤكد على وحدة المعرفة وأهمية التكامل بين التخصصات المختلفة، وهو ما يعرف حاليا بمصطلح الدراسات البينية نحو رؤية موسوعية ومتكاملة.

أما صالحين محمد فيقول عن تطور العلوم البينية والتجريبية أنها مرت بأحقاب عدة:

«الموسوعية ثم المرحلة التخصصية العامة، ثم مرحلة التخصص الدقيق، والتشظي الأدق، ثم العودة إلى المرحلة الموسوعية المعرفية من منظور الدراسات البينية»[1].

يمكننا في النهاية أن نجمل كل ما تمّ الحديث عنه سابقا بإدراج مخطط لمراحل تطور العلم وتكامل المعارف على النحو الآتي[2]:

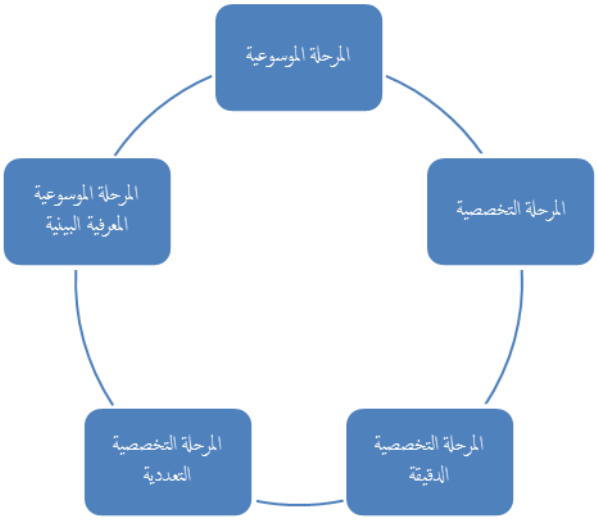

مخطط رقم 4 : مراحل تطور العلم وتكامل المعارف

[1]- محمد صالحين : الدراسات البينية تفتح آفاق جديدة في البحث.https://islamonline.net.29363

[2]عائدة سعيد البصلة : الدراسات البينية ودورها في تعزيز الهوية اللغوية والأدبية، جامعة دمار، اليمن، المجلد6، العدد4ديسمبر2024، ص138.

بما أنّ مسيرة تطور العلوم اقتضت في نهاية المطاف التحول من الموسوعية نحو التخصص الدقيق نحو المنفتح لتعميق المعرفة وتوسيع آفاقها[1] ، فإن هذا التخصص المنفتح على غيره من التخصصات هو ذاته جوهر الدراسات البينية، ومنها قد نلحظ الاختلاف بين الموسوعية والبينية وفي نهاية الجزء هذا يمكننا إدراج ترسيمة توضيحية نهائية لتمظهرات الحس البيني على النحو التالي:

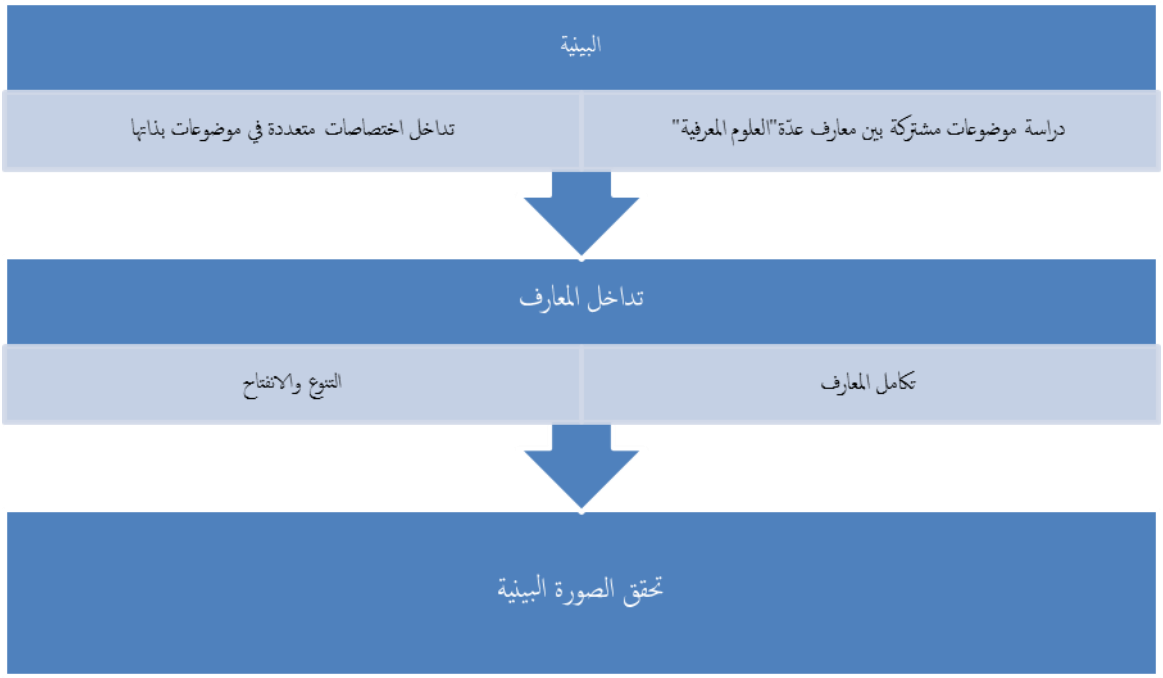

مخطط رقم 5 : تمظهرات الحس البيني

ثانيا "الهجنة" :

1-1: بنية الخطاب "الهجين"

"**الهجنة**" في مفهومها العام تعبر عن وجود معارف مختلفة ضمن بنية خطابية واحدة ، و"**التهجين**" في نظر **ميخائيل باختين** والشكلانيين الروس أسلوب فني يدل على عبقرية الروائي وإتقانه كتابة الرواية البوليفونية أو هو الحوارية.

[1]- ينظر عائدة سعيد البصلة : الدراسات البينية ودورها في تعزيز الهوية اللغوية والأدبية، ص(137-138). الحقيقة ترك الموسوعية والعودة إليها من جديد ليس من بوابة واحدة، نعتقد أن الموسوعية الأولى في شموليتها دليل على التمكن المعرفي المنعزل وأما الثانية فهو جمع دقيق بين التخصصية والمعارف المجاورة بما يحقّق بينية لم تكن محقّقة قبلا. وحديث البينية التي سبقت التخصصية هي موسوعية مع قيام الفصل بين المعارف.

رغم أنّ ظاهرة تداخل الأصوات ليست بجديدة، فإنّ ما نشهده يختلف طبيعة وسرعة، فلم يعد الأمر مجرد مزيج أو تأثر لغوي طبيعي ولا الخلط المتعمد بين الفصحى ولغات أجنبية أخرى، الذي أنتج تراجع استخدام العربية السليمة لصالح مزيج لغوي "**هجين**".

"**التهجين**" من الموضوعات اللغوية المعاصرة التي لقيت صدى واسع الدراسة والاهتمام من قبل العديد من اللغويين الذين يهتمون بشأن اللغات وكل ما يحفّ بها، غير إنّ اللسانيات الاجتماعية تعدّ التخصص الوحيد الذي يعمد دوما إلى دراسة وتسليط الضوء على كافة الظواهر اللغوية المتعلقة بالمجتمع؛ مثل قضية "**التهجين**" الذي يظهر لأول وهلة أنه مصطلح علمي بحت لأن بداياته الأصيلة عرفت في العلوم العلمية التي تدرسه كموضوع متعلق بالنبات والحيوان.

نحاول في بحثنا أن نجد عتبة أخرى يتسلل عبرها مفهوم التهجين إلى الدراسات النقدية.

بداية يمكننا القول إن "**التهجين**" في الأدب هو المزج بين أنماط وأنواع مختلفة من الكتابة في عمل واحد يكون الإنفتاح والتداخل من سمتها، ما يخلق نصا متعدد الأبعاد يجمع بين عناصر متباينة، لذلك يمكن أن يكون التهجين نوعا من تداخل الأجناس الأدبية مثل [المزج بين الشعر والسرد].

يهدف "**التهجين**" إلى كسر القوالب التقليدية وإضفاء طابع جديد ومبتكر على النص يكون فيه تداخل لمعارف في بنية الخطاب الواحد ، ما يعتبر زمن ثراء المعنى والتأثير الفني.

2-2 : المقاربة المركبة:

يجد الناقد المعاصر نفسه في مواجهة تحدّ معقد يتمثل في ضرورة إعادة النظر في النظريات النقدية التقليدية، التي لم تعد كافية لاستيعاب طبيعة النصوص الحديثة التي تتسم بتعددها الدلالي وتعقيد بنيتها.

فالنص الأدبي المعاصر لم يعد مجرد وحدة متماسكة يمكن تفكيكها بسهولة، بل أصبح فضاء ديناميكيا تتقاطع فيه دلالات متعددة، ما يفرض على الناقد تجاوز الأدوات النقدية الجاهزة نحو مقاربات أكثر مرونة وانفتاحا.

يمنح هذا التعدد الدلالي النص سلطة جمالية متعددة، لكنه في الوقت نفسه يضع الناقد أمام معضلة تفسيرية تجبره على إعادة التفكير في أساليب القراءة والتأويل، وبدل التعامل مع النصوص باعتبارها كلا متجانسا، أصبح من الضروري إدراك طبيعتها المتشظية، حيث تتداخل المعاني والمجالات والمعارف، وتتحرك باستمرار وهذا ما يجعل الأفق التأويلي للنص مفتوحا بلا حدود[1].

وهذه المعاني والدلالات تحتاج إلى أكثر من آلية قرائية ليُستنطق بها، وهو ما يطلق عليه المقاربة أو التعدد المنهجي[2].

وعلى إثر هذا يمكننا أن نقول إن المقاربة النقدية المركبة بمثابة علامة فارقة في التجريب [تجريب الفكرة لا النموذج]، إذ يمكن أن تقع في الحكم المتجاوز للطبعة الاستقلالية والانفصالية للمكاشفات المنهجية الحداثية وما بعدها[3].

وشهدت هذه المقاربة المركبة، والمناهج مجتمعة إلى الوقوف على الخصوصيات الجديدة التي يحملها النص الأدبي، ومعرفة مكوناته، وبعدها الوصول إلى أعماقه من خلال تفكيك بنائه ورموزه، وهذا يؤدي بنا إلى اكتشاف النصوص الأدبية من جديد؛ استنادا إلى القيم التركيبية والدلالية والصوتية التي تتضافر لتجعل منها مادة أدبية قابلة للقراءة والتفسير ... وبالتالي تجاوز الدلالات المرجعية الأحادية، التي ليست لها شيمة من شيم النص الإبداعي الخلاق المتوهج بالأدبية.

ولأن النقد المعاصر عرف نقلة نوعية نتيجة دعوات صريحة بضرورة التهجين المنهجي إن صحت التسمية، ويشار إلى أنّ هذه الدعوات النقديةَ، حيث إن توثيق النصوص الأدبية أصبح اليوم ضرورة يفرضها الواقع النقدي، فالتعامل مع النص الأدبي يقتضي نهجا نقديا متكاملا، إذ إن الاكتفاء بقراءة سطحية يظل قاصرا عن ثراء النص وجمالياته الفنية والدلالية، ولذلك لا يعد تحليل النصوص مقتصرا على منهج بعينه، بل بات من الضروري الاستعانة بمناهجَ نقدية متعددة، حيث تسهم القراءة النقدية في الكشف عن أبعادَ جديدة للنصوص الأدبية، ما يعكس تفاعل عملية القراءة مع فعل الكتابة ذاته.

وعليه؛ فإنّ الخطاب الأدبي لا يمتلك جوهره بمعزل عن القراءة النقدية التي تمنحه حضورًا وتأثيرًا في المتلقي، ما يؤكد أن النقد في جوهره يتمثل في إعادة إحياء النص الأدبي عبر الكشف عن

[1] ينظر: ريمة لعواس : تعدد المناهج في قراءة النص الأدبي المعاصر (بحث في جهود عبد الملك مرتاض النقدية)، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر، المجلد 8، العدد 3، 2020، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص 83.

[3] المرجع نفسه، ص84.

مضامينه العميقة، ومن هنا يمكن القول إن العملية النقدية تتطلب تكاملا منهجيا يراعي البعد الجمالي بوصفه ممارسة تحليلية تهدف إلى استكشاف آفاق جمالية جديدة[1].

وقد عرَّف عبد العزيز عتيق المنهج التكاملي بقوله" هو منهج يأخذ من كلّ منه ما يراه معينًا على إصدار أحكام متكاملة على الأعمال الأدبية من جميع جوانبه"[2]

يمثل التركيب في الدراسات العربية حقلًا معرفيًا متأرجحًا بين مطرقة الرفض وسندان القبول، حيث يتصارع تياران نقديان متناقضان؛ فمن جهة يرى البعض فيه طوق نجاة من رتابة المنهج المركب، وسبيلًا لتوسيع آفاق النقد العربي، ومن أخرى يُواجه هذا المنهج بمقاومة شرسة تتجلى في النقد اللاذع لجدواه، والتشكيك في قدرته على التفاعل مع النص الأدبي.

ويكمن جوهر هذا الصراع في إشكالية التأصيل والتطبيق؛ ففي حين يعاني النقد العربي المعاصر من قصور في التنظير المنهجي، وغياب آليات إجرائية واضحة، يأتي التركيب المنهجي محملًا بمفاهيم مستوردة، قد لا تتناسب مع السياق الثقافي المحلي، وهذا ما يدفع البعض إلى التحذير من مغبة الاستنساخ الأعمى للمناهج الغربية دون مراعاةً لخصوصية النص الأدبي[3] ، فمن أسباب القصور في التنظير المنهجي هو : *عدم التمييز بين المداخل النصية والآليات الإجرائية.

* عوائق عملية الترجمة:غالبا ما يتم استيراد المناهج النقدية من الغرب حاملة معها مفردات ومفاهيم مركبة يصعب على الناقد الغربي فهمها واستيعابها بدقة فتتشكل عنده أزمة تمثل في الخلط بين مستوى التنظير ومستوى التحليل النصي العربي، فالحل لا يكمن في التركيب وحده بل في الوعي النقدي للناقد العربي في التمييز بين المستويات وإعادة صياغة المناهج بما يلائم السياق الثقافي العربي.

ويؤكد هذا التجاذب المنهجي على ضرورة تجاوز منطق الرفض المطلق والقَبول المطلق الذي يمثل في جوهره ضربا من التيه المنهجي ومظهرا من مظاهر المثاقفة

[1] ريمة لعواس : تعدد المناهج في قراءة النص الأدبي المعاصر (بحث في جهود عبد الملك مرتاض النقدية) ص 85.

[2] عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1972، ص 308 .هنا في الأصل كان حديث هذه الجماعة مرتبطا بمرحلة المناهج السياقية.

[3] ينظر نور الدين لبصير : التركيب المنهجي بين إشكالية التظير والتطبيق، مجلة جسور المعرفة، مخبر تعليمية اللغات ونحليل الخطاب، جامعة الجيلالي، بونعامة خميس مليانة، الجزائر،العدد 10،2017،ص243.

من الأوائل الذين تحدثوا عن النقد التكاملي ودعوا إلى اعتماده في معالجة النصوص وسماه "المنهج المتكامل" يقول"إن المنهج المختار هو المنهج المتكامل الذي ينتفع بالمناهج الثلاثة جميعا - الفني، التاريخي، النفسي- ولا يحصر نفسه داخل قالب جامد أو منهج واحد"[1]

ونشير إلى محمد مفتاح الذي يعترف بالتركيب المنهجي بوضوح فيقول"حينما نوينا الإستيحاء من اللسانيات والسيميائيات ترددنا بين أمرين مربكين: العكوف على ما كتبته دراسة واحدة لفهم مبادئها العامة والخاصة، ثم تطبيقها على الخطاب الشعري، ولكننا رفضنا هذا الخيار لأسباب موضوعية من حيث أنّ أيّة مدرسة لا تتفق إلى الآن في صياغة نظرية شاملة، وإنما كلما تحده هو بعض المبادئ الجزئية والكلية التي كلما أضاءت جوانب بقيت جوانب أخرى مظلمة، وقد أدّى بنا هذا الشعور بقصور النظرة الأحادية إلى اختيار الأمر الثاني وهو التعدد رغم ما يتضمنه من مشاقٍ ومزالقَ"[2]

يعني هذا أن محمد مفتاح يرى بأن المناهج النقدية مثل السيميائيات لم تبلغ بعد مرحلة الكمال والشمولية، لذلك فإن الاعتماد على منهج واحد في تحليل الأدب قد يكون قاصرًا، ولهذا السبب يفضل استخدام مناهج متعددة ومتنوعة، رغم ما ينطوي عليه ذلك من جهد وعناء، وذلك من أجل تحقيق فهم أعمق وأشمل للنصوص الأدبية.

ويرفض محمد مفتاح التبني الأعمى للمناهج النقدية الجاهزة، ويدعو إلى التعامل معها بمرونة، وانفتاح، والاستفادة من جوانبها المختلفة، والإيمان بأهمية التعدد والتنوع في النقد الأدبي رافضا النظرة الأحادية المغلقة.

من أبرز الداعين إلى هذا الاتجاه يوسف الشاروني، الذي يؤكد أهمية دراسة العمل الأدبي من الجوانب الجمالية والاجتماعية والنفسية والتاريخية وغيرها، ويرى أن هذه الجوانب يجب أن تدرس بشكل متوازن مع الإقرار أن طبيعة العمل الأدبي نفسه قد تتطلب التركيز على جانب معين أكثر من غيره، فالقصة النفسية على سبيل المثال قد تستدعي التركيز على المنهج النفسي، بينما القصة الإجتماعية تستدعي التركيز على المنهج الاجتماعي، ويؤكد أن الأعمال الأدبية والنقدية التي تتناول الأبعاد الاجتماعية تكون أكثر عمقا وتأثيرا[3].

[1] سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 2003، ص 8.

[2] محمد مفتاح : في سيمياء شعرنا القديم دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1982، ص 5.

[3] ينظر يوسف الشاروني : دراسات في الرواية والقصة القصيرة، كتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1967، ص 4.

أما الدكتور شوقي ضيف، فقد دعا إلى ضرورة استخدام مناهج نقدية مختلفة في تحليل النصوص الأدبية، وأن الاعتماد على منهج واحد أو دراسة واحدة لا يكفي لفهم العمل الأدبي بشكل كامل، بل يجب الاستعانة بمناهج متعددة ومتنوعة[1].

ويعد الناقد السعودي عبد الله الغذامي من أبرز النقاد الذين اعتمدوا إستراتيجية "تشريح النص" أين جمع بين عدة مناهجَ نقدية مثل التفكيكية، والبنيوية، والسيميائية، والأسلوبية لتحليل النص من عدة جوانب.

كما جمع في كتابه "الخطيئة والتكفير" بين ثلاثة مناهجَ نقدية مختلفة استقاها من و بارت ودريدا وتودوروف[2].

وفي الجزائر يعد عبد الملك مرتاض من أكثر النقاد ارتحالا وتجوالا بين المناهج، انطلاقا من السياقية مرورا بالنسقية منتهيا إلى التركيب المنهجي الذي دعا إليه في كثير من كتاباته النظرية والإجرائية التطبيقية، هو ينحو هذا المنحى بوعي كامل، من أجل ذلك تجنح التيارات النقدية المعاصرة إلى ما يطلق عليه في اللغة النقدية الجديدة التركيب المنهجي[3].

ويرى البعض أن المنهج الذي اعتمده عبد الملك مرتاض، والذي يصفه ب'اللامنهج*[4] يسهم في جعل النص الأدبي متجددا في كل قراءة جديدة، فمرتاض يرى أن اللامنهج في تحليل النص الأدبي يقدم لنا دائما شيئا جديدا من خلال البحث في أعماقه وزواياه المختلفة، فكأنّ النص الأدبي يتجدد ويتغير مع كلّ قراءة يقوم بها القارئ، ما يجعل عطاء النص الأدبي دائما متجددا.

يتطلب ثراء النص الأدبي وتجدده على مرونة المنهج أو المناهج التي يستخدمها الناقد في تحليل النص ومدى قدرته على مراعاة خصائص النص[5]، مدركا تماما كل التعقيدات التي تواجه تطبيق المناهج في العلوم الإنسانية، وكان حريصا في دراساته على إبراز أهمية المنهج النقدي والتحديات التي ينطوي عليها، مؤكدًا أن اختيار المنهج المناسب لكلّ دراسة أمر بالغ الأهمية لأهميته ودوره في الدراسات الأدبية الحديثة.

---

[1] ينظر شوقي ضيف : النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1972، ص(145،144).

[2] ينظر نور الدين لبصير : التركيب المنهجي بين إشكالية التنظير وإمكانية التطبيق، ص 246 .

[3] ينظر علي حمودين : عبد القادر دحدي: التركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، المجلد 1، العدد 1، 2016، ص 194.

[4] هو معنى ودلالة إلى تجاوز الجمود المنهجي من خلال دعوته إلى التكامل المعرفي نحو قراءة شمولية حسب طبيعة خصوصية النص العربي.

[5] ينظر ريمة لعواس : تعدد المناهج في قراءة النص الأدبي المعاصر (بحث في جهود عبد الملك مرتاض النقدية)، ص(88-89).

مع ذلك كان عبد الملك مرتاض يرفض التقيد بمنهج واحد، بل كان يدعو إلى المقاربة المركبة أو ما أطلق عليه التركيب المنهجي؛ وهو استخدام مناهج متعددة في الدراسة الواحدة لأن إعتماد منهج واحد حسب رأيه يؤدي إلى نتائج قاصرة، وأن التعددية المنهجية الحل الأمثل لتجاوز المشكلة.

وقد طبق مرتاض المقاربة المركبة في العديد من دراساته، وكان يرى أن النقد الأدبي قد وصل إلى مرحلة من النضج تسمح بتطبيق مناهج متعددة، دون الوقوع في التناقض نتيجة لتراكم الخبرات النقدية وتجاوز النقد الأدبي لمرحلة الاعتماد على منهج واحد[1].

فقلقه المعرفي الذي يساير مشروعه النقدي، جعله لا يطمئن إلى منهج في مقاربة أو تحليل النصوص، فهو يؤمن بحتمية انعدام الكمال في أي منهج، كل ذلك دعاه بإلحاح في أكثر من مقام لتبني هذا المنهج إيمانا بأن التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية.

ويبرر هذا التوجه بقوله:« الذي حملنا على ذلك أمران: ما رآه بعض نقاد العرب إخلاصهم، ووفاءهم للمنهج الاجتماعي وإصرارهم عليه حتى ماتوا عليه»[2]، الأمر الثاني: تأثره بأستاذه أندريه ميكائيل.

ويقول أيضا" انطلاقا من حتمية انعدام الكمال في أي منهج فإننا لا نستقيم، من حيث المبدأ إلى أي منهج إذا ونجتهد أثناء الممارسة التطبيقية أي نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية لمنح العمل الأدبي الذي ننجزه شيئا من الشرعية الإبداعية وشيئا من الدفء الذاتي معا»[3]

فمرتاض يرى **"التهجين"** في أي منهج "أمر ضروري لتكتمل أدواته وليصبح أقدر على العطاء والرؤية»[4]. ودعا إلى عدم التعصب لمنهج على آخرَ قائلا إنه من الأمثل التزام الحيطة وعدم التعصب لمنهج على آخرَ، واختيار طريقا للبحث مفتوحا لأنّ المنهج الكامل لم يولد.

في هذا القول يتحدث عبد الملك مرتاض عن أهمية المرونة والانفتاح في المناهج النقدية، ويدعو إلى عدم التعصب لمنهج واحد على حساب الآخر؛ بمعنى استخدام مناهج متعددة ومتنوعة في تحليل النصوص الأدبية، لأنّ النقد الأدبي في تطور مستمر ولا يوجد منهج واحد يمتلك الحقيقة المطلقة.

---

[1] ينظر عبد الملك مرتاض : تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1995، ص 6.

[2] ينظر المرجع نفسه : ص 19.

[3] المرجع نفسه : ص21.

[4] ينظر عبد الملك مرتاض : " تحليل الخطاب السردي، ص 21

وقد وظف مصطلحات التفكيك كثيرا في دراساته النقدية ومن أبرزها دراسته بعنوان "دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة" حيث استخدم مصطلحات مثل التأويل والتفكيك بالإضافة إلى بعض المصطلحات البنيوية مثل 'البنية" و'النظام الفعلي' و'النظام الاسمي' والزمن والمعجم لتحليل النص الأدبي[1].

ومزج بين المناهج في تحليله، فقد استعان مرتاض بالمصطلحات الغربية وحاول تكييفها بما يناسب طبيعة النص الأدبي ، وطبق عليها التفكيك، مؤكدا بذلك تأثره بتفكير دريدا، وهذا النهج يتجلى في جميع دراساته النقدية؛ حيث يرى أن التفكيكية تعتمد على تحليل النص باعتباره ممارسة لغوية[2].

وسنحاول الوقوف على أهم الكتب التي مثل للمصطلح السيميائي جوهرها وهي:

1. ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد.
2. (أ،ي) دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة.
3. شعرية القصيدة قصيدة القراءة –تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية-.
4. تحليل الخطاب السردي – معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية (زقاق المدق)-.
5. نظام الخطاب القرآني.
6. مقامات السيوطي –تحليل سيميائي-.
7. الأدب الجزائري القديم –دراسة في الجذور-.
8. التحليل السيميائي للخطاب الشعري.

تزخر هذه المؤلفات بمجموعة من المصطلحات السيميائية الدقيقة مثل: 'تقنيات السرد' 'العمل السردي' 'علم السرد' 'السارد الروائي' 'وصلة السرد بالوصف' كما تتضمن مفاهيم أخرى مثل: ' تداخل السرد' 'التشاكل' 'الحيز' 'الأيقونة' 'القرينة' 'الرمز' 'الإشارة' 'الزمن السردي' 'الخطاب' 'النص' 'التناص' و'التخاطب الحيزي' 'التخاطب الإيقاعي' 'البنية الهوية' 'البنية التحتية' 'التناص الشعري' 'البناء السردي' 'الحدث' 'الشخصية' 'الزمن الشعري' 'السمة' 'التأويل والقراءة' وهذه المصطلحات كلها تعكس تأثر الناقد عبد الملك مرتاض بالدراسة الغربية وهذا واضح في قوله :"فلتكن هذه محاولة منهجية لدراسة التراث العربي السردي، ولتكن قبل كل شيء مدرجة لإثارة السؤال، ومسلكه للاستخدام الجدل، ولتكن أيضا

[1] أحمد بناني : المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سعد دحلب البليدة 1، الجزائر، 2007، ص 54.

[2] المرجع نفسه : ص54.

دعوة لتجديد آليتنا، ولكن بعيدا عن فخ التقليد الذي ابتلتنا به، هذه النظريات التي نقرؤها في لغتها الأصلية طورا، ونقرؤها مترجمة طورا آخر، فإذا عدواها تسري كالسموم التي تتسرب في أجسامنا»[1]

ويؤكد أنه لا يسلم التطبيق الآلي للمصطلحات المستقاة من الدراسات الغربية، بل يسعى إلى الاستفادة منها مع التراثيات ثم هضمها ومزجها لخلق رؤية مستقلة لتحليل النصوص، هذا المنهج يهدف إلى استنطاق النص من داخله، بعيدا عن فرض أي مصطلح عليه[2].

مع أهمية المزج بين التراث والحداثة واستقاء المصطلحات من النص نفسه، ففي حديثه عن تقنيات السرد يشير إلى أهمية تعريف القارئ العربي غير المتمكن من اللغات الأجنبية بهذه التقنية التي يعتبرها أساس العلوم السردية، بحيث يستقي مصطلحاته السيميائية من علم انتشر في فرنسا على يد رواد النقد السيميائي، مما يُيَسر له نقله إلى الساحة النقدية الجزائرية، ويدعو إلى تأسيس قواعد هذه النظرية وتطويرها لتصبح شاملة لكل ما هو لغة خطاب ونص، ودلالة وتركيب وتأويلية ومدلول وكل هذه المصطلحات التي كان مصطلح اللسانيات يعجُّ بها قبل ظهور هذا العلم[3].

ويؤكد أن معظم هذه المناهج بعضها موروث من بعض، وقائم بعضها على بعض، فلا البنيوية والنصانية ولا السيميائية ولا الأسلوبية نفسها تستطيع إحداهن أن تزعم أنها ناشئة من عدم، وأن كل أدواتها التقنية ومصطلحاتها المفهوماتية الجديدة فاللسانيات قامت على جهود النحاة وفقهاء اللغة، وحتى المعجميين، كما أن الأسلوبية على الرغم من أنها فرع من اللسانيات تصنيفا، إلا أنها قامت على أنقاض البلاغة بفروعها الثلاثة: البيان، والبديع، والمعاني، ، والبنيوية تقف إلا على جهود الشكلانيين الروس وجهود دي سوسير، في حين أن السيميائية هي خيط من اللسانيات والنحويات لا يعدو أن يكون تجسيدا لمساعي ذهنية كانت تتردد على ألسنة البلاغيين، وكل ما في الأمر أن المساعي المعاصرة تتسم بتقنيات أدق ومنهجية أكثر صرامة[4].

---

[1] عبد الملك مرتاض :ألف ليلة وليلة ، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1993، ص 11.

[2] ينظر المرجع نفسه : ص 12.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 84 .

[4] عبد الملك مرتاض : التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مجلة علامات في النقد، النادي الثقافي الأدبي في جدة بمنطقة مكة، جدة، السعودية، ج 5، المجلد 2، 1992، ص 144.

مخطط رقم 6 : تطور المناهج النقدية.

ويؤكد أيضا حقيقة جوهرية في عالم النقد هي استحالة الوصول إلى منهج نقدي متكامل؛ ففي رؤيته لا يجوز التعصب لمنهج واحد وأن كل منهج مهما بلغ من الدِّقة، يظل قاصرا لأنّ الإحاطة بكل جوانب العمل الأدبي، وفي هذا السياق يدعو إلى ضرورة تضافر الجهود النقدية وتكامل الرؤى النظرية من أجل الوصول إلى مقاربة نقدية أكثر شمولية، تتجاوز النقص والخلل وتقترب قدر الإمكان من الكمال، كما يدعو إلى إضفاء لمسة شخصية على المنهج المختار، من أجل منح العمل الأدبي شرعية إبداعية، وإضفاء بعد ذاتي عليه[1].

وفي آخر كلامنا هذا أدرجنا مخطط تفصيلي لتمظهرات الحس التهجيني كالآتي:

[1] عبد الملك مرتاض : التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص(149،150).

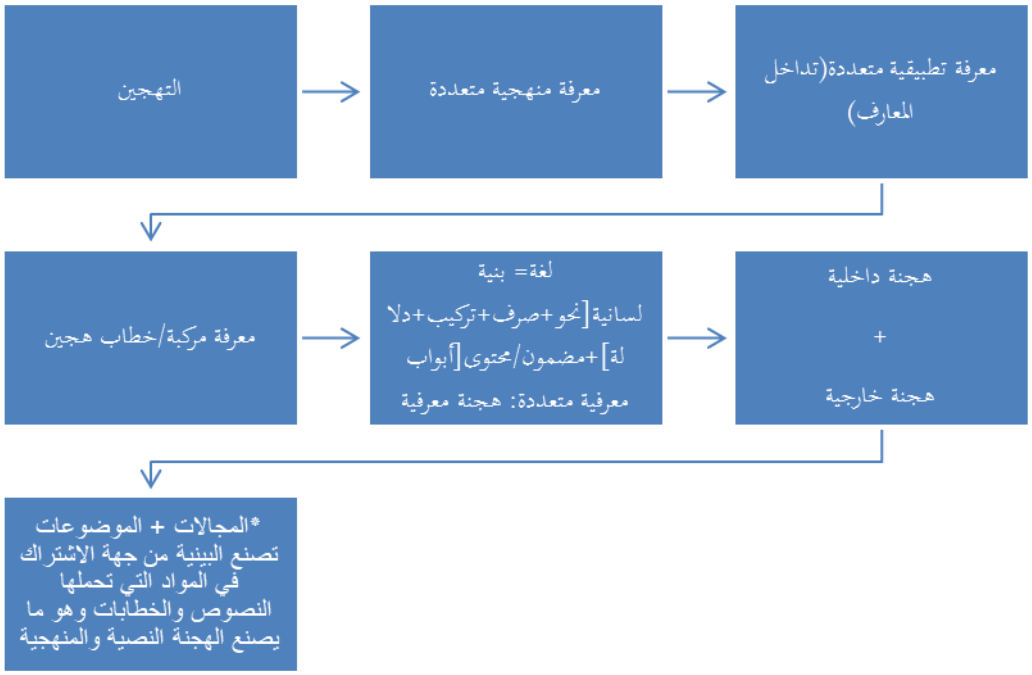

مخطط رقم 7: تمظهرات الحس التهجيني .

الفصل الثاني:

أولا: قراءة في كتاب التحليل السيمائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستويات لقصيدة شناشيل إبنة الحلبي لعبد الملك مرتاض

1. قراءة على مستوى العنوان
2. قراءة على مستويات الدراسة
3. التهجين على المستوى الداخلي و الخارجي

أولا : قراءة في كتاب التحليل السيمائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي لعبد الملك مرتاض:

1-قراءة على مستوى العنوان :

يعد عبد الملك مرتاض من النقاد الذين أولو اهتماما بالقضايا النقدية من جانب المصطلح، وكذا المنهج والتطبيق على مختلف النصوص العربية خاصة الشعرية منها.

فمن جانب المصطلح نلاحظ أن مرتاض إهتم بالمفاهيم النقدية المترجمة في ما يخص المناهج ومسمياتها وما يقابلها في التراث النقدي العربي، مثالا على ذلك ما نجده في عنوان هذا الكتاب"التحليل السيمائي للخطاب الشعري "تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي "اعتمد كلمة السيمائي[1] بدلا من السيميائي بالرغم من أنهما يحيلان إلى نفس المنهج، فقد اختار مرتاض التسمية الموجودة في التراث النقدي العربي وهذا إن دل فإنما يدل على تشبعه بالثقافة النقدية التراثية العربية ومدى تمسكه بها وتعكس جهوده لمحاولة تطويع هذه المناهج بما يلائم النقد العربي، واستثمارها في دراسة النص الشعري العربي حيث يقول في هذا الصدد : «وتوخينا أن يكون النص المقروء وسطا من حيث فضاؤه؛ وهو "شناشيل ابنة الحلبي »التي فرض علينا حجمها وشكلها معا أن نمارس عليها التحليل السيماتي) السيمائي، لدينا يتعلق بالنظرية، والسيمائياتي يتعلق بالتطبيق ضمن إجراءات السيمائي، إن ملاحظة العنوان تفصح عن طبيعة المنهج وكذا تحيل إلى التركيب والدمج الذي استعان به الناقد لتحقيق هذه الدراسة.

إضافة إلى مصطلح سيمائي نجد مصطلح "التقاين "والذي يقصد به "التماثل "فقد اصطنع هذا المصطلح لأول مرة وهو يقول فيه :« وقسمناه على التشاكل على أساس أن النص الشعري في معظم الأطوار يمنحنا مظاهر مماثلية) إيقونية Iconiques (لا تتجلى في الأثر المتروك على الحيز)المرئيات(ولكنها تتجلى أيضا في الأثر المسموع عبر الحيز»[2].بعد الإطلاع على التفاصيل التي أوردها عبد الملك مرتاض في مدخل كتابه يمكن القول بأنه:

[1] اخذ مرتاض مصطلح السيمائي من لفظة "السمة" الموجودة في التراث العربي رغبة منه في تكييف المناهج الغربية بما يساعد خصوصية بنية النصوص العربية.

[2] المرجع نفسه،ص(14،15).

- يعتمد على الدمج بين المصطلحات النقدية الوافدة من الغرب)المترجمة(،ويعمل على إيجاد المقابل لها في النقد التراثي العربي[1].
- اصطناع المصطلحات النقدية وإضافتها على المناهج لتتلاءم وطبيعة النص الشعري العربي[2].
- ثقافة مرتاض الواسعة وتشبعه بالتراث النقدي والأدبي العربي[3].
- قدرته على التهجين والجمع بين الفكر الغربي وكذا التراث النقدي العربي على مستوى تلقي المناهج وكذا تطبيقها على النصوص العربية بما يتلاءم خصوصية النص[4].
- التصريح بالمنهج مع استثمار الآليات المنهجية التي تسهم في تحقيق القراء الأكثر شمولية[5].

سعى مرتاض إلى انتهاج القراءة المركبة[6] بغرض دراسة النص الشعري العربي تحقيقا لدراسة أكثر شمولية تتلاءم وموضوع وحجم النص من جهة ،ومن جهة أخرى فهو يرى أن المقاربة المفردة التي تعتمد على منهج واحد غير قدارة على الإحاطة بجميع جوانب النص الشعري العربي هذا لخصوصيته فالبنيوية، والأسلوبية الجمالية والدلالية والإيحائية تركز على جانب دون أخر، فلا المنهج البنيوي قادرة على تحقيق دراسة شاملة بمجرد تناول البنيات منعزلة عن جمالياتها الأسلوبية، ولا بعيدا عن قراءة العلامات والدلالة[7] .وهنا السؤال يطرح نفسه إلى أي مدى تمكن المقاربة المركبة من تحقيق الدراسة الشمولية؟ هذا ما سعى عبد الملك مرتاض إلى تحقيقه على مستوى دراسته للنص الشعري العربي.

2:قراءة على مستويات الدراسة:

تقوم اللغة الشعرية التي تتميز بها القصيدة على تباينات دلالية، وصوتية، ونحوية، بلاغية والتي تشتغل داخل منظومة بينية، حيث تعمل على تجاوز المعجم الشعري لكلاسيكي وتوظيف مفردات الحداثة، كما نجد أن هذه المفردات تجمع بين التركيب الجمالي والصيغ البسيطة مع تخريج يتوافق ومتطلبات القصيدة الحديثة وما تحمله من أبعاد فلسفية، وتاريخية، وسياسية...

[1] عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص 21.
[2] ينظر المرجع نفسه : ص(27/24).
[3] المرجع نفسه : ص26.
[4] المرجع نفسه : ص12.
[5] المرجع نفسه : ص8.
[6] نجد مرتاض في اكثر من موضع يؤكّد على انتهاجه المقاربة المركبة،ينظر للصفحات :6، 12، 13، 14.
[7] ينظر عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي، ص(6-8).

يعمل عبد الملك مرتاض على تفكيك كل من البنية السطيحة وكذا البنية العميقة للخطاب، بهدف إظهار الإنزياحات التي عمل الشاعر على اعتمادها.

تحدث هذه الإنزياحات ما يعرف بالقلق القرائي أو حالة التساؤل مما يجعل القصيدة نصا قابل لما نهاية من الدراسات مما يعطيه صفة الخطاب المفتوح الذي يجمع بين مختلف المرجعيات الأسلوبية والسيميائية، والدلالية...

2-1:المستوى الأول: التشاكل والتباين [1] في لغة الشعر لدى السياب:

في هذا المستوى ارتأى مرتاض إلى تناول البنية اللسانية للخطاب الشعري، وقد ارتبطت هذه الرؤية بما يسميه "تفجير البنية التقليدية للقول الشعري «فالنص الشعري المعاصر حسب رأيه يتسم بلغة متداخلة تنأى عن الانسجام لكلاسيكي وهذا ما وجده حاضرا في قصيدة "شناشيل ابنة الحلبي»"

قام مرتاض بدراسة كل لوحة شعرية على حدة مستخرجا منها ما تعلق بكل من التشاكل والتباين «كما نلاحظ أن الوحدة الشعرية الأولى الخبرية اختتمت بمقوم النور[2] »، والوحدة الشعرية الثالثة-الخبرية- اختتمت بمقوم "الظلم[3] :«ففي التشاكل القائم على النسيج الخبري في الكلام)بالقياس إلى وحدتين :الأولى والثالثة (يوجد تباين ينص على اختلاف معنيي النور والظلام[4] »هكذا يواصل مرتاض الكشف عن مواطن التشاكل والتباين في مختلف اللوحات الشعرية.

لا يتوقف الأمر على استخراج مواطن التشاكل والتباين بل يسعى إلى إبراز الأبعاد والدلالات التي تحملها هذه اللوحات، فسعى إلى دراسة معنى الجمل والمفردات ، وكذا الضمائر كما نلاحظ في قوله ":والأنا، هنا، لا يمثل السلطة، كما يذهب إلى بعض ذلك أصحاب الاتجاه النفسي في تأويل الأدب، ولكنه يمثل الوقوع تحت وطأة السلطان؛ فالدلالة السيمائية للأنا تنطلق، في قراءتنا، من تحت إلى أعلى"[5].إضافة إلى عملية الكشف عن مختلف الأبعاد التي يتضمنها النص الشعري على مستوى التشاكل والتباين، فإن مرتاض يكشف عن طبيعة دراسة لهذا النص ويبين مواطن الاختلاف فيها.

[1] عبد الملك مرتاض: التحليل السيمائي للخطاب الشعري ،ص(33-85) .

[2] المرجع نفسه:ص34..

[3] المرجع نفسه : ص35.

[4] المرجع نفسه : ص32.

[5] المرجع نفسه : ص32.

2-2:المستوى الثاني : الحيز والتحيز [1]في لغة الشعر لدى السياب:

في مطلع هذا المستوى ؛ يعمل مرتاض على تبيان معنى كل "الحيز "والتحيز[2] "،فيعرف الحيز على أنه "الفضاء[3] "في النقد العربي المعاصر ، ويقول مضيفا :والذي أضفنا إليه، هنا مصطلحين اثنين "التحييز "و "التحايز[4]"ويفسر عدم اختياره لمصطلح "الفضاء "في مثل هذه الدراسة، إذ يجد بأنه «لا يحتمل كل الأحمال الدلالية المتعلقة بأصناف الأطوار التي تعتور المكان من حيث هو؛ يضاف إلى ذلك أن تعاملنا مع الحيز، بمفهومنا نحن لهذا المصطلح»[5]، لا يرمي بالضرورة إلى تسليط الضوء على المكان من حيث هو مفهوم تقليدي "يعرض مرتاض ضمن هذا المستوى مدى قدرة المكان في الخطاب الشعري على استيعاب الموقف الثقافي، بمعنى يدرس كيفية اشتغال اللغة)البينية اللسانية (كوسيط سيميائي محكوم بالتحيزات)الأنساق والتوجهات(الثقافية والاجتماعية.

الحيز "المكان "في هذا السياق لا يمكن حصر معانيه ضمن إطار زماني ومكاني معين؛ بحيث أنه مشحون بالدلالات والرموز وهذا ما يؤكد في قوله « :وترد أطوار للحيز الخصب ينتقل فيها من الحالة المحايدة، الفاقدة التأثير :إلى حالة فاعلة، ومؤثرة، مفرزة، مخصبة؛ حال تتخذ مظهر الحيز النشيط في محيطها الدلالي، والحالة الثالثة التي تنشأ عن الحالة الثانية، الناشئة، هي أيضا عن الحالة الأولى[6]»...، مما يجعل القصيدة تخلق لنفسها مساحة شعرية تحمل علامات موقف الشاعر، إيديولوجياته، وتوجهاته)الثقافية، الدينية، الفلسفية.

إن مختلف البنيات تكشف عن اختلاط وتهجين على مستوى الأجناس وكذا الأساليب، وعليه فإن التحيز واختيار الحيز "المكان "لا كونه مفهوم تقليدي بل كشحنة من دلائل السيمائية على حد تعبير مرتاض.

2-3:المستوى الثالث :التحليل بإجراءات المماثل والقرينة:[7]

في هذا المستوى يركز عبد الملك مرتاض على البنية الدلالية المتولدة عبر التحليل السيميائي الإجرائي، فيعتمد على مفهومي المماثل والقرينة من أجل تفكيك العلاقة بين العلامة اللغوية ودلالاتها العميقة،

[1] ينظرعبد الملك مرتاض : التحليل السيمائي للخطاب الشعري ،ص (86-114)

[2]: المرجع نفسه، ص86.

[3] المرجع نفسه ، ص86.

[4] المرجع نفسه ، ص86.

[5] ينظر المرجع نفسه ، ص86.

[6] المرجع نفسه ، ص87.

[7] ينطر عبد الملك مرتاض : التحليل السيمائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي ،ص(118-140).

حيث يقول في هذا المستوى «يمكن أن نقرأ اللوحة الشعرية الأولى، من هذا النص، قراءة بإجراء المماثل؛ فنلاحظ أنه يتألف من لوحة مماثلة معنوية) ،وذلك على الرغم من أن هذا محالف لمفهوم المماثل)الإقونة (Icone) (لدى الغربيين الذين لا يقيمونها إلا على أساس الحواس الشم؛ بل على أساس حاسة البصر خصوص[1]»فالمماثل يشير إلى العنصر اللغوي الذي ينهض بوظيفة دلالية مباشرة، في حين أن القرينة تحيل إلى جملة السياقات التي تخلق التركيب الدلالي.

تتحدد المعاني من خلال شبكة القرائن المتعددة مما يفصح على وجود التهجين والذي يتيح للعلامات الشعرية أن تتخذ طابع التعدد والزئبقية ولا نهاية من القراءة مع تحقق الانفتاح الدلالي وهذا ما نجد على مستوى قصيدة "شناشيل ابنة الحلبي "حسب ما أورده عبد الملك مرتاض من خلال دراسته لها من خلال التحليل السيميائي ومصاحبا إياه بالتفكيك والتركيب وفكرة التأجيل الدلالي ضمن المفهوم الدريدي .)مفاهيم التفكيك عند دريدا.

3:التهجين على المستوى الداخلي والخارجي :

تقف دراسة التهجين على المستوى الداخلي والخارجي ، على استجلاء مختلف الأبعاد التي يضمها النص المدروس؛ فمن خلال ما قدمه عبد الملك مرتاض انطلاقا من دراسته من منظور سيمائي مركب ، منطلقا من المنهج السيمائي وصولا إلى تفكيك [2]مختلف بنيات القصيدة كاشفا عن مواطن **الهجنة** من زوايا متعددة داخليا وخارجيا.

مكنت هذه الدراسة التي قدمها مرتاض حول قصيدة "شناشيل ابنة الحلبي "إلى كشف مختلف الأبعاد المكونة لها ابتداءًا من التركيب و التداخل الأجناسي والذي يتجسد في حضور السرد[3] على مستوى النص الشعري، إن الموسوعية التي يشتمل عليها كل من النص الشعري وكذا دارس هذه النص تفصح هي الأخرى على وجود اندماج لما هو موجود على مستوى الفكر التراثي النقدي من حيث بناء القصيدة وكذا دراستها من جهة، ووجود الفكر الحديث من حيث تركيب القصيدة وكذا المقاربة المعتمدة في الدراسة من جهة أخرى.

[1] المرجع نفسه : ص115.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] المرجع نفسه : ص33.

تجمع القصيدة بين التراكيب الداخلية المتمثل في البنى الدلالية وكذا البلاغية والنحوية دون أن ننسى الإيقاعية وغيرها إلى تخريج نص ذو بنية خارجية تفصح عن وجود أبعاد متداخلة فيما بينها خاصة البعد **النفسي**، و**الاجتماعي**، **التاريخي** وكذا **الفلسفي**؛ بحيث أن وجود **الهجنة** الداخلية للنص تفضي إلى وجود **هجنة** خارجية وهذا لوجود تكامل بين البنية السطحية والبنية العميقة للنص الشعري، وهذا ما عمل عبد الملك مرتاض إلى الوصول إليه وكشفه من خلال تفكيك مختلف هذه البنيات ودراستها لتحقيق والكشف عن مواطن **التهجين** وكيفية مساهمته في بناء النص الشعري ، فالنص **الهجين** بالضرورة يستدعي مقاربة **هجينة** تشترك في إتمامها مختلف الآليات المنهجية من مناهج وعلوم معرفية أخرى

.

إن الزخم المعرفي الذي يحمله النص الشعري "شناشيل ابنة الحلبي "يفضي بضرورة انتهاج تركيب منهجي معين ،وهو عمد إليه مرتاض ففي البداية صرح بالمنهج المتبع وإضافة "تحليل بالإجراء المستوياتي "لتوضيح مسار الدراسة الذي يهدف إلى التفكيك[1]واستخراج المعنى المخفية مع إعطاء قراءة منفتحة ومعاني متولدة[2] .

ويمكن توضيح ما سبق ذكره بالمخطط الآتي :

[1]:عبد الملك مرتاض : التحليل السيمائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستوباتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي ص 13.

[2]المرجع نفسه : ص9.

مخطط رقم 8 : تمظهرات التهجين في كتاب التحليل السيميائي للخطاب الشعري

3 -1:التهجين على المستوى البينية الداخلية:

يهتم التهجين على المستوى الداخلي على دراسة التفاعل والتركيب بين مختلف الأبعاد الدلالية، والبلاغية، النحوية وكذا الصرفية والإيقاعية فكلها بنيات تساهم في الكشف عن موضوع المتناول في النص الشعري، وهو ما بينه مرتاض من خلال دراسته.

بناءً على ما قدمه عبد الملك مرتاض تم التركيز في هذا المستوى على دراسة البعد البلاغي، والنحوي، والدلالي انطلاقا من تحليله للوحات الشعرية الأولى على سبيل المثال لا الحصر، والهدف هو الكشف عن مواطن **التهجين** على مستوى البينية الداخلية للنص.

قبل الولوج إلى عرض وتحليل مختلف هذه الأبعاد نتطرق إلى مظاهر **التداخل الأجناسي** والذي بينه عبد الملك مرتاض في تحليله للنص الشعري عبر المستويات الثلاث.

ومن أمثلة ذلك نذكر علاقة الذكرى[1] بالسرد أين يقول:« نلفي في هذا المقوم معنى إنتشار الوعي عبر شريط الذاكرة الخلفية لإستعادة شيء منسيًا،أو شاحبًا .فالذكرى فيها معنى الانتشار القائم في رجوع

[1] عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري ،ص 33.

الزمن بسرعة مذهلة نحو الوراء والتوقف لدى نقطة معينة منه[1]»أنه يقصد بالذكرى **سرد** و استذكار الأحداث الماضية.

3-1-1:الأبعاد المشكّلة للبينية الداخلية للنص:

تعرض مرتاض للأبعاد المشكّلة للبينية الداخلية للنص إنطلاقًا من البنية اللسانية ،وقد استعرضها كما يلي:

اللوحة الشعرية.	البعد البلاغي	البعد النحوي	البعد الدلالي
الأولى.ص(143) وأذكر من شتاء قرية النضاح فيه النور من خلل السحاب كأنه نغم تسرب من ثقوب المعزف –ارتعشت له الظلم وقد غنى صباحا قبل...فيم أعد ؟طفلا كنت أبتسم	**استعارة:** النضاح فيه النور من خلل السحاب :إضافة الحياة على الضوء .ص(33) **تشخيص الطبيعة:** السحاب ص(34)، الشتاء ص.(34) الطفولة :كناية عن النقاء	**استعمال الجمل الفعلية:** أذكر ص(33)، تسرب ص(35)، غنى ص(36) ترتيب تصوري إحائي.	-دلالة الحنين إلى الطفولة من خلال استحضار لحظة زمنية مفقودة يتجسد فيها الصفاء ص.(33)

[1] ينظر عبد الملك مرتاض : التحليل السيميائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي،ص33.

	والسكينة . ص.(36)		
الثانية:ص(143) لليالي أو نهاري أثقلت أغصانه النشوى عيون الحور وكنا-جدّنا الهدار يضحك أو يغني في ظلال الجوسق القصب وفلاحيه ينتظرون :غيثك يا إله، وإخوتي في غابة اللعب	**الاستعارة تصريحية:** في قول الشاعر: "أغصان النشوى " ص(39) حيث شبه عيون الحور المتصفة بالنشوة بالأغصان المتدلية أو المورقة، وحذف المشبه)عيون الحور(وصرح بالمشبه به)أغصان النشوى(أغصان النشوى، حيث يعتبر عيون	**الجملة الإسمية:** ليلي أو نهاري أثقلت أغصانه النشوى عيون الحور . ص.(39-38) **النداء:** غيثك يا إله ص (41) :التضرع والرجاء .	**دلالة الليل والنهار** ص:(38) شمولية الزمان الذي تتجلى فيه الصورة الشعرية. **أغصان النشوى :** هذا التصوير يوحي بجمال العيون وتأثيرها الساحر الذي يبعث النشوة .ص.(39) **دلالة الجد الهدار :** هنا يشير إلى قوة الطبيعة .ص.(41)

	الحور مبتدأ ،وأغصان النشوى خبر مما يشكل تشبيها بليغًا يحمل قوة في وصف جمال العيون .ص.(41)		
الثالثة:ص(143) يصيدون الأرانب والفراش وأحمد الناطور نحدق في ظلال الجوسق السمراء في النهر ونرفع للسحاب عيوننا : سيسيل بالقطر وأرعدت السماء فرن قاع النهر وارتعشت ذرى السعف	**الاستعارة والمجاز:** يصيدون الأرانب والفراش وأحمد الناطور ص.(41) استعارة مركبة: تم ادراج "أحمد الناطور "ضمن قائمة "الأرانب والفراش"، بما يوحي بالاغتيال الرمزي أو الصيد السياسي، وهذا ضمن إلغاء الكائن الإنساني ضمن قائمة صيد .ص(44)	**تركيب الجمل:** • يجمع المقطع بين الجمل الاسمية وكذا الفعلية 'وفق تنوع إيقاعي ودلالي. • **يصيدون:**جملة فعلية .ص(34) • **الأفعال:**تحدق ص(44)، نرفع ص(54)، أرعدت ص(48)، تسلسل زمني.	**دلالة الصيد:** الصيد هنا لا يدل عن فعل بريئ، بل يحمل دلالة الإقصاء، القنص السياسي، القتل الرمزي . ص(43) **ثنائية)الراصد/المرصود** نحدق...نرفع عيوننا يحيل إلى حالة المراقبة "نحن "في مقابل "هم "الذين يصيدون .ص-44) (54 دلالة ممارسة القمع .

	ظلال الجوسق السمراء في النهر :صورة بلاغية بصرية مشبعة بالبعد الحسي ،الجوسق قصر صغير ،أو برج وظلاله السمراء توحي بالسكينة الظاهرة والتهديد الباطن .ص(44) **كناية:** نرفع للسحاب عيوننا سيسيل بالقطر كناية عن حالة الخضوع والانتظار القلق . ص(45)		**استجابة الطبيعة:** أرعدت السماء فرن قاع النهر ارتعشت ذرى السعف .ص.(48) كلها دلالات تشير إلى استجابة الطبيعة لحالة إنسانية مضطربة مما يضفي الحس الأسطوري على المقطع.

*بالنسبة للوحة الشعرية الرابعة نجد نفس الشئ[1].

المستوى الصوتي:

[1] عبد الملك مرتاض : التحليل السيمائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي: ص143.

ومثالا على ذلك ما ذكره في المستوى الأول **"وأرعدت السماء فرن قاع النهر وارتعشت ذرى السعف** [1]**"**نصادف في الوحدة تراكما متراكبا من التشاكلات بحيث نلفيها تتجسد في:

- صدور أصوات متتالية، أو متزامنة متشابهة (أرعدت السماء، رن قاع النهر)أي ترجيع الصدى الرعد(؛ارتعشت ذرى السعف[2]"ومثال أخر "وصاح يا جدي[3] "يندرج الصياح في إطار القرينة الصوتية على ما يحدث في أعماق النفس[4]"

- على صعيد التركيبي نجد مرتاض يواصل كشف النقاب عن إستراتيجيات الشاعر في تجاوز الثنائيات اللغوية المستقّرة، فالنص الشعري عنده لايركن ببساطة إلى تراكيب مألوفة ويتوقف عند معناها الظاهري وحسب ، بل ينفتح على أكثر من معنى، وهذا تأكيدا تنطوي على قدرة الانفتاح الدلالي ولا نهائية المعنى، هذا التجاور بين الأنماط التركيبية المختلفة يُسهم في خلق بنية لغوية مركبة تحتمل مستويات متعددة من القراءة والتأويل لتعيد تشكيل علاقة المتلقي بالنسق اللغوي المعهود .

- إن هذا التحليل الذي قدمه مرتاض يقوم على المقاربة التفكيكية انطلاقًا من المنهج السيمائي والتي يسعى من خلالها إلى تحقيق تجربة فردية تقوم على كشف البينيات الداخلية والخارجية المشكلة لبنية الخطاب الشعري.

- يمكننا أن نلمس هذه التجربة المنهجية القائمة على البينية في ميله نحو تفكيك البنى الثابتة التي تُفرض على النص الشعري، فبدلاً من الإنطلاق من مسلمات جاهزة أو قوالب تحليلية جامدة، ينصب تركيزه على الكشف عن البنى الدالة المتأصلة في صميم النص، هذا التوجه يتجاوز السعي التقليدي نحو إستخلاص الدلالات المستقرة والنهائية لينفتح على ما لا نهاية من الدلالات هذا المسعى يقترب بشكل لافت من جوهر المقاربة التفكيكية التي تولي اهتمامها بالإثبات والإختلاف.

[1] المرجع نفسه ، ص47.
[2] المرجع نفسه : ص47.
[3] المرجع نفسه : ص136.
[4] المرجع نفسه : ص136.

- يتجلى ذلك من خلال ما قدمه مرتاض على تعدد الدلالات المتولّدة من النص، فاهتمامه بتطبيق مستويات تحليل سيميائية متعددة (صوتية، صرفية، تركيبية، دلالية) لا يهدف فقط إلى تقديم وصف شامل للقصيدة، بل يؤدي بشكل حتمي إلى إبراز تعددية الدلالات الممكنة، هذا الإقرار بتنوع القراءات المحتملة ينسجم بشكل وثيق مع فكرة.

3_2:التهجين على مستوى البينية الخارجية:

لا تخلو القصيدة من المفارقات[1]، لا من حيث أنها خطاب **جمالي** فحسب، بل كونها فعل **رمزي** يخضع المعنى لمنطق الانتقاء والتحكم، من هنا يظهر مرتاض كيف أن الشاعر بدر شاكر السياب يصنع لنفسه مكانا ضمن حيز رمزي يجمع ما هو **شعري**، بما هو **سياسي**،**فلسفي**، **تاريخي**، **اجتماعي**، **نفسي** ليعيد تشكيل اللغة بوصفها أداة للإدراك وهو بذلك يعمل على تفجير البنية العميقة للخطاب الشعري.

جسد مرتاض هذا **التهجين** الخارجي انطلاقا من دراسته لمختلف اللوحات الشعرية عن طريق المستويات الثلاث ،التشاكل والتباين، الحيز والتحييز، والتحليل بإجراءات المماثل والقرينة.حيث أكد أن كل لوحة شعرية تقوم على زخم معرفي خاص، وبين أن بنيات القصيدة سواء دراسة مجملة أو مفصلة فإن تفكيكها يفضى إلى لانهاية من الدلالة هذا لوجود **الهجنة** المعرفية .

البعد **اللوحة** **الشعرية**	**فلسفي**	**الاجتماعي**	**نفسي**	**تاريخي**	**السياسي**
الأولى.ص(134) وأذكر من شتاء قرية النضاح	إشكالية الزمن في القصيدة: الحاضر الباهت	يظهر من خلال **رمزية** "القرية "وهي تعبير عن	"طفل يبتسم "	"القرية " بداية تشكل الذات.	"خلل السحاب"، "ارتعشت له الظلام "يوحي

[1] عبد الملك مرتاض : التحليل السيمائي للخطاب الشعري تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي،ص36و55.

فيه النور من خلل السحاب كأنه نغم تسرب من ثقوب المعزف – ارتعشت له الظلم وقد غنى صباحا قبل...فيم أعد؟طفلا كنت أبتسم	في مقابل الماضي الجميل.ص(33) مرتاض يلمح إلى هذا البعد حين يربط التشاكل الدلالي التواترات الزمنية داخل القصيدة، إذ لا يحضر الزمن إلا بوصفه غيابًا.ص(35-36).	الإنتماء مما يحمل قيمة **إجتماعية**. طفل يبتسم: يجسد براءة المنشأ. البدايات النقية.ص(33).	البراءة، الأمل، البهجة المفقودة. ص (36).	ص(34).	بواقع مختنق، مضطرب. تسرب النور يلمح القيم **السياسية**. ص(34).

على صعيد المستويات الثلاث سعى مرتاض لاستخراج الأبعاد المكونة مثالا على ذلك نذكر:

	المستوى الأول	المستوى الثاني	المستوى الثالث
البعد فلسفي	ص (63).		"سيبرئ الأعمى " ص(130).

البعد **اجتماعي**	ص(37).	"القرية"ص(88). "ظلال الجوسق"ص(91).	
البعد **النفسي**	ص(36).	ص(90).	"الوجد"ص(132)..
البعد **التاريخي**	ص(44).	"القرية"ص(88).	
البعد **السياسي**	ص(43).		"التاج" ص(130).

من التحليل الدقيق التي قدمه مرتاض نستطيع الوقوف على أهم الأبعاد التي سلط مرتاض عليها الضوء نذكر أهمها :الهروب من الحاضر بإستحضار ذكريات الماضي (**السرد**)، يتجلى البعد **الفلسفي** في تمظهر الذات، أما البعد **الإجتماعي** فتجسد في علاقة الأنا الشاعرة بالمجتمع من خلال تجانسها أو عدم تجانسها،أما الواقع **السياسي** فيفصح عن حالة اللاستقرار و الصراع مع السلطة من خلال التركيز على بيئة مكانية وحقبة زمنية معين.

الخاتمـــــــــــــــــة

.الخاتمة:

في آخر دراستنا هذه نستنتج الآتي :

- البينية هي تجاوز حدود التخصص الواحد والانفتاح على معارف ومناهج من تخصصات أخرى ,بحيث تهدف إلى فهم الظواهر و دراسة الموضوعات من زوايا مختلفة وتعتمد على

حقلين معرفيين أو أكثر.

- الجميل في الدراسات البينية أنك لا تستطيع أن تصل إلى غاية معرفية واحدة مالم يكن المنهج قائم على الفكر البيني.

-ويشير مصطلح تداخل الإختصاصات إلى إشتغال بتخصصات متعددة حول موضوع واحد دون إندماج فعلي فهو عبارة عن تمهيد أولي لتكامل المعارف، بحيث يهدف إلى تجاوز الحواجز المعرفية بين الحقول.

- وبالنسبة لتكامل المعارف فهو يشير إلى العملية التي يتم من خلالها تنمية المعرفة وتوسيع الفهم الشامل للموضوع أو مجال معين وذلك من خلال الربط المنهجي والمنطقي بين مختلف أشكال المعرفة سواءًا أكانت نظرية أو تطبيقية ضمن التخصص الواحد أو بين التخصصات المختلفة ويهدف إلى تعميم المعرفة وتحقيق فهم شامل ومتكامل.

- الموسوعية الحديثة _البينية- التخصص في مادة علمية واحدة تقبل الإنفتاح على غيرها التخص صات–تكامل المعارف-

- التهجين ليس فقط مجرد ظاهرة لغوية أو ثقافية، بل هو نتاج ممارسات التفكيك التي تسعى إلى زعزعة الحدود الثابتة بين الهويات والأنساق بوصفه تجربة فردية في طريقة التحليل والمقاربة.

- ومن رحم التداخل والتقاطع بين الخطابات ولدت الهجنة بوصفها نتاجا لعملية تفاوض مستمر بين عناصر متباينة سواءًا كانت داخلية تتعلق بالبنية النصية ذاتها ,أو خارجية تنبع من سياقات ثقافية واجتماعية ونفسية تتعلق بالمعارف التي يستند إليها النص.

- المقاربة المركبة التي تجمع بيت المعارف والمناهج المتعددة ولا تكتفي بتحليل الظواهر من منظور أحادي بل تسعى إلى قراءتها من خلال منظومات متعددة الأبعاد،

- لم يرغب مرتاض التغرب في مكتسباته التراثية والتي اكتشفت في عمقها أنها لا تقل شأنا عما جاءت به قرائح الغربيين وإن كانت لم ترق إلى نظريات لغياب المنهج فيها.

- ظهر البعد التراثي لمرتاض في خطابه النقدي ,لإكسابه شرعية في حقل النقد المعاصر.

- للنص العربي خصوصياته التي يتميز بها الأمر الذي يجعل المناهج الغربية لا تصلح كمقاربة لأنها تولدت في بيئة خاصة بها.

- محاولة تأصيل مناهج في التراث الأدبي العربي.

- تبني منهجا واحدا في الدراسة غير كاف لاستنطاق النص الشعري ، مما جعله يرفع دعوة مفادها ضرورة اعتماد التركيب المنهجي لتحقيق غايات النص. .

- مقاربته للنص الشعري وفق مبدأ الشمول والتعدد والتناول المستوياتي .

- جعل للغة مكانة في منهجه ،بحيث رأى أن النص الثاني ينبغي أن يكون إبداعا وليس تمطيطا للنص الأول رافضا لعملية اللغة التي تجعل من كل القرارات قراءة متحيزة.

- يزخر مشروعه النقدي كجهاز مصطلحاتي ضخم ينهض على ما جلبه من التراث النقدي البلاغي ,وعلى ما استجد في الساحة النقدية الغربية من نظريات ,فجاءت تجربته المصطلحاتية مؤطرة بمنهجه.

الملاحق

عبد الملك مرتاض[1]:

أ-حياته:

عبد الملك مرتاض، كاتب وأديب وأستاذ جامعي وناقد أدبي جزائري، ولد بمسيردة

(ولاية تلمسان الكائنة بالغرب الجزائري) في 10يناير 1935،بها نشأ وترعرع فحفظ القرآن الكريم في كتاب والده (بمجيعة الخماس) ما يسَّر له الإطلاع على الكتب التراثية وقراءة المتون ... وغيره علاوة على هذا رعيه للغنم...

ولما كبر واشتد ساعه هاجر إلى فرنسا من أجل العمل بها، حيث انخرط في معامل (لاستوري)المختصة في صهر معدن التوتياء، ليعود سنة1954 إلى قريته فلم يلبث فيها أياما قلائل ليشد الرحال إلى مدينة قسنطينة؛ قصد الالتحاق بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس، وتتلمذ طيلة خمسة أشهر على أيدي: عبد الرحمان شيبان، أحمد بن ذياب علي ساسي... ولكنه غادره لظروف حرب ثورة التحرير.

وفي عام 1955 سافر إلى فاس بالمغرب الأقصى لمتابعة دراسته بجامعة القرويين ولكنه أصيب بمرض خطير (السل) كاد يودي بحياته، فلم يدرس بها إلا أسبوعا واحدا.

وفي سنة 1956 عين مدرسا للغة العربية بإحدى المدارس الإبتدائية بمدينة(أخفير) ليحصل في سنة 1960 على شهادة البكالوريا (التعليم الأصلي) الشهادة الثانوية التي أتاحت له الإنظمام في جامعة الرباط (كلية الآداب)، ليسجل بعد سنة_وموازاة لدراسته النظامية_ في المدرسة العليا للأساتذة حيث تخرج سنة 1963 بشهادة الليسانس في الآداب. ليعين بعد ذلك أستاذا بثانوية(مولاي يوسف بالرباط) وبعده التحق بالجزائر ليعين مستشارا تربويا بمدينة وهران زهاء شهرين فقط ليلتحق بثانوية ابن باديس بوهران وظل بها أستاذا حتى سنة1970.

في 07مارس1970 حصل على شهادة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الجزائر عن بحث بعنوان(فن المقامات في الأدب العربي) بإشراف إحسان النص.

وفي السنة نفسها من شهر سبتمبر عين رئيسا لدائرة اللغة العربية وآدابها، ثم مديرا للمعهد سنة 1974.

[1] ينظر فاطمة سرحاني : قراءة في التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض، مذكرة تخرج شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب، جامعة أدرار، الجزائر، 2013، ص(8-11).

في يونيو 1983 أحرز على شهادة دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السربون بباريس،عن أطروحة بعنوان(فنون النثر الأدبي بالجزائر) بإشراف المستشرق الفرنسي"أندريه ميكال". ليرقى في سنة 1986 إلى درجة أستاذ كرسي "بروفيسور".

توفي_ رحمه الله_ بعد معاناة من المرض يوم 3 نوفمبر 2023.

ب_ مشاركاته العلمية والثقافية:

تقلد الأديب الكثير من المناصب العلمية والثقافية ومنها:

_ رئيس فرع إتحاد الكتاب الجزائريين بالغرب الجزائري سنة1975.

_ نائب عميد جامعة وهران سنة1980.

_ أمين وطني مكلف بشؤون الكتاب الجزائريين سنة1984.

_ مديرا للثقافة والإعلام بولاية وهران سنة 1983.

_ عضو في الهيئة الاستشارية لمجلة(التراث الشعبي) العراقية سنة 1986.

_ رئيس المجلس العلمي لمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران.

_ عضو المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1997.

_ رئيس المجلس الأعلى للغة العربية سنة 1998.

ويضاف إلى هذا مشاركاته في عشرات الملتقيات الأدبية والمهرجانات الثقافية الوطنية والدولية، كما نشر دراساته في أشهر المجلات العربية مثل:

(الثقافية) الجزائرية، (فصول) المصرية، (المنهل) و(الفيصل) و(قوافل) و(علامات) السعودية، (كتابات معاصرة) اللبنانية، (الأقلام) و(آفاق عربية)، (التراث الشعبي) العراقية، (الموقف الأدبي) السورية.

ج _ آثاره:

تميز الأديب بخياله الخصب قدرته الفائقة على الفهم والتحليل؛ ما جعل قلما مطواعا وذلك ما يظهر لنا من خلال ما خلفه من زخم ثري، وجعل كتاباته تميز بالغزارة والروح الموسوعية ذات الصياغة الراقية.

كتاباته متنوع؛ مابين رواية وقصة وشعر ونقد وتاريخ وتراث شعبي ...حتى وإنه يوصف بأغزر كتاب الجزائر(قديما وحديثا) في التأليف، وأكثرهم في التنوع والثراء.

نورد الآتي لقائمة مؤلفاته مرتبة حسب تواريخ صدورها أو صدور طباعاتها الأولى:

1) القصة في الأدب العربي القديم، وهو فاتحة نتاجه وباكورة مؤلفاته، نشر سنة 1968.
2) نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925-1954) سنة 1971.
3) فن المقامات في الأدب العربي سنة 1980.
4) الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر سنة 1981.
5) العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى سنة 1981.
6) الألغاز الشعبية الجزائرية سنة 1982.
7) الأمثال الشعبية الجزائرية 1982.
8) المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1983.
9) فنون النثر الأدبي بالجزائر 1983.
10) النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ سنة1983.
11) بنية الخطاب الشعري1986.
12) في الأمثال الزراعية1987.
13) الميثولوجيا عند العرب1989.
14) ألف ليلة وليلة 1989.
15) عناصر التراث الشعبي في "اللاز".
16) القصة الجزائرية المعاصرة سنة1990.
17) (ألف _ياء) سنة1992.
18) الشيخ البشير الإبراهيمي .
19) شعرية القصيدة، قصيدة القراءة سنة 1994.
20) نظام الخطاب القرءاني سنة 1994.
21) تحليل الخطاب السردي سنة 1995.
22) مقامات السيوطي سنة 1996.

23) قراءة النص سنة 1997.

24) في نظرية الرواية سنة1998.

25) العشر مغلقات سنة2000.

26) الأدب الجزائري القديم سنة2000.

الأعمال الإبداعية: وأغلبها روايات

27) رواية دماء ودموع 1963.

28) رواية نار و نور 1964.

29) رواية الخنازير 1985.

30) رواية صوت الكهف 1986.

31) المجموعة القصصية: هشيم الزمن1988.

32) رواية حيزية 1988.

33) رواية مرايا متشظية 2000.

34) رواية حياة بلا معنى مخطوطة.

35) رواية قلوب تبحث عن السعادة مخطوطة.

36) رواية مملكة العدم

إضافة إلى بعض المؤلفات التي تمكنا من الإطلاع عليها ومنها:

- مجلة: في نظرية الرواية بحثت في تقنيات السرد1978.
- الكتابة من موقع العدم مساءلات حول نظريةالكتابة2003.
- رواية الحفر في تجاعيد الذاكرة، لوحات من سيرة الذات زمن الصبا 2003.
- معجم الشعراء الجزائريين 2007.

*** المصطلحات النقدية العربية و ما يقابلها الأجنبي :**

الرقم	المصطلح العربي	المقابل الأجنبي
.1	التمازج	Symmetry
.2	التفاعل	Interaction
.3	الدمج	Integration
.4	الاشتراك	Participation
.5	التخصص الأحادي	Hiero speciality
.6	التداخل	Interference
.7	التكامل	Compétion
.8	النفعية	Pragmatic
.9	التشابك	Similarity
.10	التبادل	Exchange
.11	التعاون	Cooperation
.12	التعالق	Overlap
.13	التناظم	Symmetry/ Symmetrie organization
.14	الإنتضام	Joining
.15	التراكب	Superposition
.16	الإنغلاق	Closer
.17	التقاطع	Intersection

.18	الإنفتاح	Openness
.19	المفارقة	Paradox
.20	الموسوعية	Encyclopaedic
.21	الموسوعية القديمة	Traditional encyclopaedic
.22	الموسوعية الحديثة	Modern encyclopaedic
.23	نقاء التخصص	Purity of specialization
.24	التجربة الفردية	Individual experience
.25	التجريب والقياس	Experementation and measurement
.26	مرحلة الحداثة	Modernity stage
.27	مرحلة ما بعد الحداثة	Post modernity stage
.28	تداخل المعارف	Interdisciplinary
.29	تكامل المعارف	Integral knowledge
.30	المناهج	Methods
.31	المقاربة المركبة	Complex approach
.32	التهجين	Hybridization
.33	عبر التخصصات	Cross disciplinary
.34	الفصل والربط	Conjunction and Disjunction
.35	المعرفة المنهجية المتعددة	Multimethodological knowledge
.36	الخطاب	Discourse

.37	المضمون	Content
.38	المحتوى	Content
.39	البنية اللسانية	Linguistic structure
.40	الفكر البيني	Interdisciplinary thought
.41	الفكر الهجين	Hybrid thought
.42	العلوم المعرفية	Cognitive sciences
.43	المنهج الاجتماعي	Social Method
.44	المنهج التاريخي	Historical method
.45	المنهج النفسي	Psychological method
.46	المنهج الوصفي	Descriptive method
.47	مناهج نسقية	Systemic Methods
.48	البنيوية	Structuralism
.49	البنيوية التكوينية	Genetic structuralism
.50	الأسلوبية	Stylistics
.51	السيمائية	Semiotics
.52	التفكيك	Desconstruction
.53	التوليدية	Genitive approach
.54	الكولونيالية	Colonialism
.55	القراءة والتلقي	Reading and reception

.56	النقد النسوي	Feminist cretecism
.57	المثاقفة	Acculturation
.58	المنهج المتكامل	Integrated method
.59	التشاكل	Satrapy
.60	التباين	Allotropy
.61	الحيز	Space
.62	القرينة	Indice
.63	الرمز	Symbol
.64	تداخل السرد	Narrative over lope

قائمة المصادر و المراجع

الكتب العربية

1. أحمد مداس، معالم في مناهج تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط 1، 2019.
2. بثينة حفيظ بهلالي، دنيا علي دهينة، في تحليل الخطاب غير الادبي من منظور العلوم المعرفية و التخصصات البينية، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن، طبعة2021،1.

الجاحظ

3. الحيوان، تح محمد باسا عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 2003.
4. الرسائل، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 1991.
5. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 2003.
6. شوقي ضيف، النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1972.
7. طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقديم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1993.
8. عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1972.

عبد الملك مرتاض

9. ألف ليلة وليلة ، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1993.
10. تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1995.
11. دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1992.
12. محمد مفتاح، في سيمياء شعرنا القديم دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1982.
13. همام محمد، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
14. يوسف الشاروني، دراسات في الرواية والقصة القصيرة، كتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1967.

المعاجم :

15. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف.

المقالات :

16. إسماعيل عريف، السمة الموسوعية التكاملية في مؤلفات علماء المسلمين مقدمة ابن خلدون أنموذجا، مجلة الباحث للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، المجلد 6، العدد 2، 2016.

17. حياة مستاري، الكتابة الموسوعية في العصر الملوكي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر، المجلد 23، العدد 01، 2024.

18. ريمة لعواس، تعدد المناهج في قراءة النص الأدبي المعاصر (بحث في جهود عبد الملك مرتاض النقدية)، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر، المجلد 8، العدد 3، 2020.

19. عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مجلة علامات في النقد، النادي الثقافي الأدبي في جدة بمنطقة مكة، جدة، السعودية، ج 5، المجلد 2، 1992.

20. علي حمودين: عبد القادر دحدي، التركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، المجلد 1، العدد 1، 2016.

21. كريمة مبدوعة، ملامح الدراسات البينية عند علماء العرب، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، المجلد 7، العدد 2، 2024.

22. محمد مكاكي، الدراسات البينية المفهوم والأصول المعرفية، مجلة جسور المعرفة، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، المجلد 7، العدد 5، 2021/12.

23. محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، مجلة نماء، مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة، مصر، المجلد 9، 2017

24. نادية خميس، الدراسات البينية نحو إستراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانة، كلية الآداب والفنون، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر، المجلد 14، العدد 2، 2021.

25. نور الدين لبصير، التركيب المنهجي بين إشكالية التنظير والتطبيق، مجلة جسور المعرفة، مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب، جامعة الجيلالي ،بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، العدد 10، 2017.

26. نور الدين الشابي، إدغار موران وأهمية الدراسات البينية، مجلة العلوم وآفاق المعارف، كلية الحضارة والثقافة الإسلامية، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، المجلد 3، العدد 2، 2023.

27. وهيبة دالي، عبد الرحمان أكتوف، لتداخل المصطلحي بين نهاية التخصص وتداخل المعارف، مجلة اللسانيات التطبيقية، مخبر اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغات، جامعة أبي القاسم سعد الله الجزائر 2، المجلد 8، العدد 2، 2024.

الرسائل والأطروحات :

28. أحمد بناني، المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سعد دحلب البليدة 1، الجزائر، 2007.

المطبوعات الجامعية :

29. عمار بن عبد المنعم أمين، الدراسات البينية Interdisciplinary studies رؤية لتطوير التعليم الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

الصحف والجرائد :

30. صلاح الدين أشرف، التهجين في الرواية العربية الجديدة، صحيفة المثقف، 8 كانون 1/ ديسمبر 2019.

المواقع الإلكترونية :

31. عمار بن عبد المنعم أمين: الدراسات البينية (Interdisciplinary studies) رؤية لتطوير التعليم الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، د ت.

32. محمد صالحين، الدراسات البينية تفتح آفاقا جديدة في البحث العلمي، https://islamonline 29393 .

.

33. معنى الموسوعية، 2836 http//ar.warbletcouncil.org/encyclopedie.

فهرس الموضوعات

الفهرس

مقدمة: .....أ

أولا: البينية:.....8

حد البينية:.....8

2- تداخل الاختصاصات: 11

3- نقاء التخصص "الحداثة و التخصص" : 15

4_ **تكامل المعارف "ما بعد الحداثة (البينية)" :** 18

5 – الموسوعية بمنظوريها :..... 18

* الموسوعية قديما:..... 19

ثانيا "الهجنة" : بنية الخطاب "الهجين"..... 26

2-2 : **المقاربة المركبة:** 27

أولا : قراءة في كتاب :التحليل السيمائي للخطاب الشعري »تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي «لعبد الملك مرتاض:..... 41

1-قراءة على مستوى العنوان : 41

2:قراءة على مستويات الدراسة:..... 42

2-1:المستوى الأول : التشاكل والتباين في لغة الشعر لدى السياب: 43

2-2:المستوى الثاني : الحيز والتحيز في لغة الشعر لدى السياب:..... 44

2-3:المستوى الثالث :التحليل بإجراءات المماثل والقرينة:..... 44

3:التهجين على المستوى الداخلي والخارجي :..... 45

3 -1:التهجين على المستوى البينية الداخلية: 47

3_2:التهجين على مستوى البينية الخارجية: 53

.الخاتمة : 57

الملخص

الملخص:

يناقش البحث موضوع البينية من حيث المقاربة المركبة وتكامل المعارف لبناء النص الأدبي الذي تبين بهد التقصي أنه لم يعد أدبيا خالصا بل هو نص هجين تتكاثف فيه اللغة والتاريخ والفلسفة ومعارف أخرى في قالب يجمع بين الشعر والنثر.وهو ما يشكل الموضوع الثاني في هذا البحث ألا وهو التهجين.

الكلمات المفتاحية:

البينية –تكامل المعارف –المقاربة المركبة –الهجنة.

Rséume :

The resach discusses the topic of intertextuality in terms of the combined approach and the integration of knowledge to build the literay text ,which after investigation, turned out to be no longer purely literary ,but rather a hybrid text in with language, history ,philosophy ,and other knowledge combine in a from that combines poetry and prose.This constitutes the second topic in this research, namely hybridization.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة-

كلية الآداب واللغات
الأمانة العامة
قسم الآداب واللغة العربية
السنة الجامعية : 2025/2024

الأستاذ المشرف: أحمد مداس

إقرار بتسليم مذكرة التخرج
- الماستر -

أنا الأستاذ(ة) المشرف أحمد مداس أقر بأنني قد أذنت لطلبة البحث:

1- بركاني إسماعيل الهاتف: 0657987524
2- لحمر خضرة الهاتف: 0696585061
3- الهاتف:

السنة الثانية ماستر ، تخصص نقد عربي معاصر، بتسليم مذكرة التخرج للإدارة، في صورة (PDF et WORD)، بعد أن اطلعت على سلامة محتواها، و التأكد من موافقته لما هو مطلوب إداريا.

بسكرة في 2025/05/22

إمضاء الأستاذ المشرف